# الإمام المهدي عج

## مظهر الخلافة الإلهية وتجلّي الحقائق الوجودية

علي عبد الكريم آل محمد

دار الخليج العربي

# الإمام المهدي عليه السلام

مظهر المعرفة الإلهية وتجلي الحقائق الوجودية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار الخليج العربي
للطباعة والنشر - لبنان - بيروت
انترنت: http://www.angelfire.com/al/darg/index.html

# الإمام المهدي

مظهر الخلافة الإلهية وتجلّي الحقائق الوجودية

علي عبد الكريم آل محمد

دار الخليج العربي
للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى بشارة الأنبياء وسر الأوصياء ونور الأولياء ..

إلى باطن الأديان وتأويل القرآن ..

إلى النور المحمدي والحق العلوي والسر الفاطمي والثأر الحسيني

إلى شبيه النبي ومثال الوصي وشريك القرآن ..

إلى خاتم الإمامة والولاية ..

إلى صاحب العصر والزمان والأمر .. الإمام محمد بن الحسن العسكري، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي السجّاد، بن الحسين الشهيد، بن علي بن أبي طالب عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

أقدم هذه السطور، لعلها تكون لي ذخراً ونفعاً ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

خادمكم: علي آل محمد

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، رحمة الله في العالمين، محمد صلى الله عليه وعلى آله الهداة الميامين الطيبين الطاهرين، مظاهر أمره ونهيه في أرضه وسماواته، وملكه وملكوته، وسلم تسليماً كثيراً.

أخي القارئ الكريم: هذا الكتاب الذي بين يديك، هو مجموعة من البحوث الخطابية، التي ألقيت في أيام شهر رمضان المبارك، في مسجد الإمام الحسن الزكي عليه السلام، بمدينة صفوى.

وقد نالت الإعجاب والرضى من قبل الجمهور الكريم، رجالا ونساء، وهذا من توفيق الله عزّ وجلّ، ومن أجل تعميم الفائدة وعدم ضياع هذا المجهود، دفعني بعض الإخوة الكرام، وشجعني أهل العلم الأعلام، على ترتيب هذه المواضيع، وإعادة صياغتها وضبط أفكارها، وإخراجها على شكل كتاب يوضع في متناول القرّاء، لتكون الفائدة منه أعم.

فأصغيت سمعي لهذه الدعوات، واستجبت لإلحاح أصحابها لتزايد يوماً بعد يوم، وقمت بمراجعة البحوث من جديد، وباشرت بإعادة صياغتها وتبويبها، ونزعت عنها ثوبها الخطابي، وألبستها ثوباً جديداً يتناسب وكونها كتاباً، وأضفت بعض العناوين والأفكار التي لم يسبق أن طرحتها على المنبر.

أخي القارئ العزيز:

هذا البحث هو ثمرة عدة سنوات من التفكير والتأمل في حقيقة الأمام المهدي (عج)، ومعرفة خلافته، وأنا أذكر تماماً متى بدأت الرغبة لدي في هذا البحث، وذلك في سنة ١٤١١هـ، ولم أرغب يومئذ في طرح بحث مسطّح، أو موضوع تناوله الآخرون، فبقيت أجمع طوال خمسة عشر سنة من كل بحر قطرة، وأقطف من كل شجرة ثمرة، حتى اجتمعت لديّ المادة الصالحة للبحث، وتم إلقاؤه على الجمهور في شهر رمضان من سنة ١٤٢٥هـ، وهذا التأخر عائد لعدم توفر المادة والأفكار من جهة، وعدم استساغتي لطرح بحث متكرر قد سمعه الجمهور من جهة أخرى، وإن كان هذا بحد ذاته لا يخلو أيضاً من فائدة.

ولا يفوتني هنا أن أشكر كل من شجعني ودفعني لطباعة هذا البحث، وإخراجه على شكل كتاب، من الإخوة الأعزاء وجمهوري الكريم، من أساتذة وجامعيين، وأخص بالشكر أخي العزيز فضيلة الشيخ زكي الحبيب، لمتابعته لهذا البحث ومناقشة بعض أفكاره، كما أشكر أيضاً سماحة السيد يوسف الشبّر، الذي مافتئ يلحُّ عليَّ بإصرار، والذي تكفّل هو بطباعته، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأرجو من القارئ العزيز، أن يقرأ هذا الكتاب من الباب إلى المحراب، وأن لا يكون حظه منه مجرد قراءة بعض العناوين، أو الاكتفاء بالتصفح السريع، وأنصحه بالقراءة المتأنية، وذلك لعدة أهداف:

أولاً- حتى يتذوّق ما فيه من أفكار، ويتلذّذ بما يحويه من ثمار.

ثانياً- كيما يتفضل بإرشادي إلى ما يمكن أن يرى فيه مـــن ثغـــرات ونواقص.

ثالثاً- لعل الفائدة الحقيقية المثمرة من الكتاب، تكمـــن في الجانـــب المهمل الذي لم يقرأ.

رابعاً- إذا ما استفاد القارئ من هذا الكتاب، فلعل ذلك يكون سبباً لحصولي على الأجر والثواب من الله الكريم، وعلى رضى مولاي وسيدي صاحب الزمان (عج).

وأخيراً أرجو من إخوتي القراء الكرام المعذرة والصفح على النـــواقص والثغرات، فالكمال لله وحده، ولمن هم مظاهر أسمائه وتجلّي صفاته، محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وآله الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين.

# المدخل

يصنف بعض المحققين والمصنفين حقيقة "المهدي" أو ما يصطلح علي تسميته عند البعض، بـــ "المصلح العالمي" في آخر الزمان، ضمن الحقـــائق المجمع على ثبوتها، وذلك على الصعيدين معاً، العالمي والوجودي.

إلا أنه لكل قاعدة شواذٌّ كما يقولون، وقد شذ عن هذه القاعـــدة بعض المنتسبين للفكر والعلم، ومثل هؤلاء الشواذ كمثل صبابة في الإنـــاء أو ما دون ذلك، وكل الموجودات وعالم الإمكان فيما عدا هؤلاء الشواذ يؤمنون باليوم الموعود، الذي سيتم تحقيقه على يد إنسانٍ متألّهٍ في الصفات وربانيٍّ في الأفعال، نبويِّ الأخلاق والسلوك.

وفي هذا الإيمان يجتمع الناس والملائكة على حدٍّ سواء، وينضم إليهم من هو أقل رتبة منهم مثل الحيوان، بل وحتى النبات والحجر الأصم أيضاً.

فالبشرية – بشكل عام– لا يجمعهم شيءٌ بعد الإيمان بالله إلا إيمانهم الثاني المتمثل بالإيمان في حقيقة هذا المصلح المهدوي، بل هناك ممن لا إيمان لهم بالله، ولا يعترف بالخالق أصلاً، ولكنه مع ذلك يأمل بإصلاح الأرض بعد فسادها، وعمارتها بعد خرابها في آخر المطاف، على يد إنسان عظيم يختلف عن سائر الناس في أبعاده، وتجتمع عليه الإنسانية جمعـــاء، فيحـــلّ أزماتها ومشاكلها.

وهذا الأمر إن دلّ على شيءٍ، فإنما يدل على أن البشر لا يجمعهم –

على عمق اختلافهم في أديانهم ومذاهبهم وأجناسهم وألسنتهم وألوانهم- إلا جامع واحد، ولا يربطهم سوى رابط واحد، وهو الحقيقة المهدويـــة، وتطلعهم إلى صلاح الأرض وعمارتها على يد هذا النموذج الفذّ الفريد، معجزة عالم الإمكان.

وبنو آدم- على اختلاف آرائهم وتباين توجهاتهم ووجهات نظرهم وعقائدهم وأديانهم، وتعدد مشاربهم-، لم يمنعهم ذلك كله من الاتفـــاق على وجود هذه الحقيقة بما هي.

والمتتبع لحقيقة المهدي يجد أنها تأبى أن ينفرد بها دينٌ من الأديان، أو مذهبٌ من المذاهب، أو طائفة من الطوائف، أو حتى نوعٌ من الأنواع أو جنسٌ من الأجناس، فلقد تعالت شمس هذه الحقيقة عن إمكانية التـــأطير، وتسامت لتصبح عصيةً على التحيّز، ولذا فإنها لم تُحتَسَب على دين محدد أو مذهب معين، فكل الأديان والمذاهب والطوائف تنادي بهذه الحقيقـــة، ولو أن الأمر لم يسلم من الاختلاف في مشخصاتها ومصـــاديقها، مـــع اتفاقهم على أصل وجوهر هذه الحقيقة، وهذا هو الأهم، أما الاخـــتلاف في المشخصات والمواصفات، النابع من الاعتبارات الدينية والمذهبية، فهو اختلاف في الفرع وليس في الأصل، ولم يمنع البشرية من أن تتفق - ولو بشكل مجمل- على حقيقة هذا المصلح العالمي، الذي سيخرج في آخـــر الزمان، ويصلح كل مفردات هذا الوجود الإمكاني، من الزمان والمكـــان والإنسان والأكوان، ويوجهه إلى حقائقه، ويسوقه إلى خفايـــا أســـراره ودقائقه، ويسير به نحو حقائقه العليا، ويعود به صعوداً (في قوس الصعود)

إلى عالم الملكوت.

عندها تُرى الحقائق عياناً، ويغدو الغيب شهوداً، والخفاء ظهـــوراً، وهذا كله سوف يتضح لنا من خلال ثنايا هذا البحث، وطيـــات هـــذا الكتاب، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

وألفت نظر القارئ الكريم إلى نقطة مهمة، وهي أنني هنا لا أتكلـــم عن المصداق الذي يجسد هذه الحقيقة، وذلك لأننا نحتاج أولاً إلى إثبـــات الحقيقة ، وهل هي ثابتة بالفعل أم لا، بغض النظر عمن يكون مصداقها، فإذا ما ثبتت لدينا تلك الحقيقة نتحدث بعدئذ عن المصداق الأتم والأكمل والأظهر والأقدس لها، وكما يقولون: "العرش ثم النقش"، أي ثَبِّتْ عرش الحقيقة، ثم انقش المصداق عليها، وتطرق بعد ذلك إلى هوية هذا المرتجى والمؤمَّل من قبل عالم الإمكان، من أقل مراتبه إلى أعلاها وأسماها.

# الفصل الأول

# الإمامة

## أسئلة مهمة

يعتبر موضوع الإمامة من أخطر المواضيع، وأشدها حساسية بين الفرق الإسلامية، ولذلك قيل: " ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام، كما سُلَّ في الإمامة".

إذاً نحن أمام حقيقة اضطربت فيها الأفكار، وتباينت حولها الآراء، وحارت فيها العقول والأفهام، ولذلك فنحن منذ البداية، وتأصيلاً لهذا المبحث، نطرح هذه الأسئلة المهمة:

أولاً- من هو الإمام؟.

ثانياً- ما هي الإمامة؟.

ثالثاً- هل الإمامة رئاسة دينية أم دنيوية؟.

رابعاً- ما هي شؤون الإمام ومرتبة الإمامة؟.

### أولاً- من هو الإمام؟

الإمام: " كل من ائتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين"[1]، و " إمام القوم: معناه هو المتقدم لهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين[2].

وعلى هذا الأساس يكون التعريف عادياً ومبسّطاً، ولا يُشْتَمُّ من

---

١- لسان العرب ج١٢ ص ٢٨.

٢- المصدر السابق ص ٣٠.

كلماته ومفرداته رائحة القداسة لمرتبة الإمامة، ولا تُستنشَق منه نسمات الروحانية ونفحات الملكوت، وكما يقول الشهيد المطهّري: "لا تنطوي كلمة الإمام في حد ذاتها على مفهوم مقدس، فالإمام هو المؤتم به، أي المقتدى والمتّبع[1].

إذاً من خلال هذه التعريفات، يكون الإمام هو: المتقدم، الرئيس، المؤتم به، المتَّبع.

**ثانياً– ما هي الإمامة؟**

الإمامة: هي الخلافة، أو الزعامة الدينية والدنيوية.

**ثالثاً– هل الإمامة رئاسة دينية فقط؟ أم دنيوية فقط؟ أم كلاهما معاً؟.**

هنا وقع الخلاف والاختلاف معاً حول هذه المسألة، فهناك من يقول أنها رئاسة دينية، وهناك من يقول أنها رئاسة دنيوية، وهناك من قال أنها تجمع بين الرئاستين.

وسوف تتضح لنا الصورة أكثر مع التقسيم الآتي.

**رابعاً– ما هي شؤون الإمام ومرتبة الإمامة؟**

وهذا السؤال أيضاً اختلفت حوله الأجوبة، وذلك تِبعاً لاختلاف المدارس والنظريات حول معنى الإمامة ومدلولها، وحدودها وحقيقتها، وسوف نشير لهذه النظريات والمدارس في البحوث التالية بالتفصيل.

من خلال التتبع لآراء المدارس والنظريات المختلفة، يجد الباحث بين

---

١– الإمامة– مطهري ص ٣٨.

هذه المدارس، بوناً شاسعاً وتبايناً كبيراً، واختلافاً عظيماً، حول فهم كل مدرسة للإمامة، ويمكننا أن نقسم الإمامة على حسب اختلاف هذه النظريات والآراء إلى أقسام ثلاثة:

أولاً- الإمامة السياسية.

ثانيا- الإمامة الدينية.

ثالثاً- الإمامة التكوينية، أو الوجودية.

كما يمكننا أن نصنف هذه الآراء والنظريات والمدارس، تحت هذا التقسيم:

١- الإمامة الحسّية (الظاهرية).

٢- الإمامة الملكوتية (الغيبية الخفية).

ولكي نتلمّس مواطن التباين والاختلاف بين هذه الأقسام، لا بد لنا أن نتعرّف على حدود كل نوع من أنواع الإمامة.

## الإمامة السياسية

وهذه الإمامة لها بعد دنيوي- أي في الحياة الدنيا-، فأصحاب هذه النظرية لا يرون للإمامة إلا وجهها الدنيوي، المتمثل في البعد السياسي، أي الزعامة السياسية المتمثلة في إقامة الدولة وتأسيس الحكومة، وما يتبعها من تنصيب الولاة والقضاة، وتدبير أمور الناس المعاشية والمدنية، وتجهيز الجيوش وقيادتها في الحروب للفتوحات والغزوات.

والذي لا يتمتع بهذه الشؤون والصلاحيات ليس بإمام، ولذلك فإن هذا الرأي يعطي الحكام مرتبة الإمامة، وكلمة هؤلاء تقول: "نحن مع من غلب"، ويستدلون على وجوب طاعتهم بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1]، وولي الأمر عندهم هو الحاكم، وبموجب فهمهم للآية الكريمة، فقد اعتبروا أنه واجب الطاعة.

وإن أهم مظاهر هذه الإمامة "السياسية" ما يلي:

- الحكم.
- القضاء.
- تنظيم الجيوش.
- القيادة المدنية والعسكرية.

---

١- سورة النساء آية ٥٩.

## الإمامة الدينية

ويعتبر أصحاب هذه النظرية أن الإمامة منصب ديني لا دنيوي فقط، وبذلك تكون الإمامة طريقاً لمعرفة الدين وتطبيق الشريعة.

وقد انقسم أصحاب هذه النظرية إلى فريقين:

الأول: يرى أن الإمامة شأن من شؤون الدين فقط، ولا علاقة لها بالسياسة والحكومة، فهي- أي الإمامة- منصب ديني بحت لا صلة له بالدنيا.

والثاني: يرى أن الإمامة تحوي المقامين معاً، السياسي والديني، الدنيا والآخرة، وبحسب هذا الفريق تكون الإمامة زعامة دينية دنيوية.

ومن أهم مظاهر الإمامة الدينية:

١- الهداية والإرشاد.

٢- الحفاظ على الدين والشريعة، من التحريف والتزييف، والزيادة والنقصان.

٣- إيصال الدين إلى الشعوب والأجيال.

٤- تطبيق الشريعة وتجسيد الدين بالقول والعمل والفعل والسلوك.

وبتعبير آخر: الإمامة الوجودية.

وأصحاب هذا الرأي يقولون: يجب أن تكون نظرتنا إلى الإمامة على أنها حقيقة أكبر من كونها سياسية دينية، وأعمق من كونها دينية فقط، فلا ينبغي أن نحصرها في السياسة والحكم، كما لا يجوز أن نختزلها في تطبيق الدين والشريعة والأحكام العبادية، بل هي في الحقيقة أعمق وأكبر من هذا الشأن الظاهري المحسوس بكثير.

إن الإمامة في هذه النظرية شأن رفيع، لا يمكن للبشر أبداً أن يصيبوا كنهها ومعناها الحقيقي بعقولهم، وإنما بتعليم من الله أو رسوله أو خلفائه، وكل من يسطح حقيقة الإمامة، هو في الواقع جاهل بها وبمنزلتها ومراتبها وشؤونها وعظمتها وقدرها، وقد ورد في هذا الشأن عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، ردٌّ منه على بعض أصحابه يشتكون إليه مما نالهم من رجل اسمه سالم، قال الإمام عليه السلام: " إن منزلة الإمام أعظم مما يذهب إليه سالم والناس أجمعون"[1].

ومن هذا المنطلق، يرى هؤلاء أن من شؤون وأبعاد الإمامة الجانب التكويني، وهذا الجانب التكويني، ناظر إلى الوجود بكل أبعاده، وجميع مراتبه ودرجاته، من العالم العلوي (وما يضم من عالم المجردات والأفلاك

---

١- بحار الأنوار ج٢٣ ص ٤١.

والأملاك والغيب والملكوت)، والعالم السفلي (وما يحويه من عالم الحس والطبيعة والشهود والملك والظهور).

ومن هنا يصبح العالم كله- العالم الإمكاني- قائماً تحت مظلة الإمام ووجوده المقدس، وهذا ما يعبَّر عنه بأن: (كل الموجودات الإمكانية هي فيضٌ من الإنسان الكامل، والإنسان الكامل هو الذي وصل إلى أعلى وأكمل ومنتهى درجات القرب الإلهي والمقامات العالية).

وقبل التعرض إلى مظاهر هذه الإمامة، نشير إلى نقطة مهمة، وهي:

**الفوارق بين الإمامة الحسية والإمامة المعنوية**

هنالك في الحقيقة فوارق جوهرية بين الإمامتين الحسية والمعنوية:

أولاً- الإمامة الحسية ليس لها ارتباط بالسماء، ولا يدعي أحد ممن يتبنى هذه النظرية بذلك، على خلاف الإمامة المعنوية، التي هي بنص من السماء، فهي على اتصال وارتباط مع السماء.

قيل: تناظر علي بن الحسين عليه السلام وأحد الناس في مسائل من الفقه، فقال عليه السلام: يا هذا، إنك لو صرتَ إلى منازلنا لأريناك آثار جبرائيل في رحالنا، أ فيكون أحد أعلم بالسنّة منا؟[1].

ومفاد كلام الإمام عليه السلام، أنهم مرتبطون بالسماء، ولم ينقطع هذا الارتباط بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً- الإمامة الحسية يمكن انتزاعها وعزل الإمام، على العكس من الإمامة المعنوية، التي لا يمكن انتزاعها من الإمام المعيَّن والمنصَّب من قبل

---

١- بحار الأنوار ج ٧٨ ص ١٦١.

الله ورسوله، ولو اجتمع على ذلك الإنس والجن.

ثالثاً- الإمامة الحسية لا يشترط أصحابها أي شرط في الإمام سوى القهر والغلبة، وشعارهم دوماً: "نحن مع من غلب"، أما الإمامة المعنوية فمن أهم شروطها: النص والعصمة، وعدم الشرك- ولو طرفة عين-، والأعلمية والأفضلية.

رابعاً- الإمامة المعنوية لا يمكن التنازل عنها، بعكس الإمامة الحسية.

خامساً- الإمامة المعنوية تضم وتشمل الحسية، أما الحسية فليست كذلك.

وبذلك يتضح لنا، أن مسؤولية الحكم بالنسبة إلى الإمام، هي من المهمات التي لا قيمة لها بحد ذاتها، وإنما تستمد قيمتها من دورها في تحقيق العدل وتطبيق الشريعة، ويدل على ذلك، قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لابن عباس: ما قيمة هذا النعل؟ فقال ابن عباس: لا قيمة لها، قال عليه السلام: والله لهي أحب إليَّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً.

يقول الإمام الخميني قدس سره: (لا يلزم من إثبات الولاية والحكومة للإمام عليه السلام، ألا يكون لديه مقام معنوي، إذ للإمام مقامات معنوية مستقلة عن وظيفة الحكومة، وهي مقام الخلافة الكلية الإلهية)[1].

ويقول قدس سره في موضع آخر: ( تولي أمر الحكومة في حد ذاته ليس مرتبة ومقاماً، وإنما مجرد وسيلة للقيام بوظيفة الإحكام، وإقامة نظام

---

١- الحكومة الإسلامية ص ٩٣.

الإسلام العادل)[1].

ويقول في موضع ثالث: (بعض الناس يتوهمون أن الرئاسة والحكومة بحد ذاتها شأن ومرتبة بالنسبة للأئمة، بنحو لو ثبتت لغيرهم فكأنما الدنيا قد خرجت ...)[2].

ويقول السيد محمد حسن القزويني رحمه الله: ( وليست الإمامة التي هي الخلافة الإلهية على البرية- من نوع الملوكية، والسلطنة الظاهرية، ولا هي مستلزمة لها دائماً، فلا يكون من شؤونها القهر والغلبة والشوكة ..

نعم ربما تجتمع الرئاسة الإلهية مع الرئاسة الظاهرية الدنيوية، والسلطة الفعلية، كما في موسى ويوشع بن نون وداوود وسليمان، ورسول الله - صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين- بعد الهجرة ، وقد تفترق إحدى الرئاستين عن الأخرى)[3].

ويقول الأستاذ السيد كمال الحيدري: ( إن البعد السياسي والدور السياسي هما أمر اعتباري، فأن يكون الشخص رئيساً وأن يكون حاكماً، هذا أمر اعتباري، فقد يكون في هذا اليوم رئيساً وحاكماً، وقد لا يكون في غيره، كما هو الأمر في المُلكية، فأنت تملك اليوم هذا الكتاب، ولكن ارتباطك به ارتباط اعتباري، بدليل أنك قد تبيعه بعد ساعة، فيغدو هذا الكتاب الذي كان لك لغيرك، ومن ثم لا توجد بينك وبين هذا الكتاب

---

١- الحكومة الإسلامية ص ٩٤.

٢- المصدر السابق ص ٩٥.

٣- الإمامة الكبرى والخلافة العظمى ج٢ ص١٤-١٥.

علقة تكوينية كتلك التي بينك وبين عينك، هل يمكنك أن تنقل ملكيـــة الباصرة- لا العين- إلى غيرك؟ كلا، لا يمكنك، عندنا إذن علاقة نسميها "علاقة تكوينية" و "حيثية تكوينية"، وتوجد هناك علاقة أو حيثية اعتبارية قابلة للنقل والانتقال بحسب القوانين)[1].

وهذا ما أشرنا إليه في الفوارق الجوهرية بين الإمامة الحسية والإمامة المعنوية، وذلك في النقطتين الثانية والرابعة، المتعلقتين بإمكـــان الانتـــزاع والانتقال في الإمامة الحسية، وعدم إمكان ذلك في الإمامة المعنوية.

ومما يؤيد هذه النظرية في الإمامة "الإمامة التكوينية"، بعض الروايات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام: (إن لله اثني عشر ألف عالَم، كل عالَمٍ أكبر من سبع سمـــاوات وسبع أرضين، ما يرى عالَمٌ منهم أن لله عالَماً غيره، وأنا الحجة عليهم)[2].

فهذه الرواية وغيرها تبين لنا سعة السلطنة واتساع الحاكمية للإمام أو الولي والحجة الإلهي.

فالذي يحصر الإمامة في السياسة والحكم الدنيوي والظاهري، أو في تطبيق الشريعة والدين فقط، ويرى أن ليس وراء ذلك شيء أو مقام آخر، فهذا فهمه قاصر أو اطّلاعه محدود، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد له سبعون ألف باب، من الباب إلى الباب فرسخ، على كل بـــاب ســـبعون

---

١- بحث حول الإمامة ص ٣٥.

٢- هدي العقول ج٣ ص ٧٧.

مصراعاً من الذهب الأحمر، أهلهما يتكلمون بسبعين ألف لغة، كل لغة بخلاف الأخرى، وأنا والله أعرف لغاتهم، وأنا الحجة عليهم)[1].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: (إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، يقال لهما "جابلصا" و "جابلقا"، طول كل مدينة منهما اثنا عشر ألف فرسخ، في كل فرسخ باب، يدخل في كل يوم من كل باب سبعون ألفاً، ويخرج منه مثل ذلك، ولا يعودون إلا يوم القيامة، لا يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس ولا شمساً ولا قمراً، هم والله أطوع لنا منكم، يأتوننا بالفاكهة في غير أوانها، موكلون بلعن فرعون وهامان وقارون)[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (أتى الحسينَ عليه السلام أناسٌ فقالوا له: يا أبا عبد الله، حدثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنكم لا تحتملونه ولا تطيقونه، فقالوا: بلى، قال: إن كنتم صادقين فليتنحَّ منكم اثنان وأُحدِّثُ واحداً، فإن احتمله حدثتكم، فتنحَّ اثنان وحدَّث واحداً، فقام طائر العقل فمرَّ على وجهه وذهب، فكلمه صاحباه فلم يردَّ عليهما جواباً)[3].

ومن يريد المزيد من هذه الروايات، فليراجع المصادر الحديثية التي تتناول هذا الباب، وقد لخصوا كل هذا في قولهم عليهم السلام: (إن أمرنا

---

١- المهدي المنتظر ص ٤٧٤.

٢- المصدر السابق ص ٤٧٥.

٣- حقيقة الإمامة ص ٥٩- الكبريت الأحمر ج٢ ص٣٥.

صعبٌ مستصعب)، فمعرفة كنه الإمام وحقيقته الذاتية بما هي في الحقيقة وواقع الأمر، لا يحتمله إلا ملَكٌ مقرَّب، أو نبيٌّ مرسل، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان[1].

**الإمام المبين:** ( هو محل الإحصاء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾، فتارة يراد به كلام الله تعالى: ﴿ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين﴾، وتارة يراد به الإنسان الكامل، إذ كانت الحقائق كلها .. إلهِيُّها وكونِيُّها محصاةٌ فيه)[2].

ومما أعجبني في هذا المجال، شرح العلامة المحقق الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طوق القطيفي- المتوفى بعد سنة ١٢٤٥هـ- لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول فيه: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، الثقل الأكبر كتاب الله، والأصغر أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض).

يقول في شرحه:

(الأول: ما معنى أنهما ثقلان؟ فنقول: الثقل في اللغة يطلق بإطلاقات كثيرة، منها خزائن الأرض والسماوات وكنوزهما الخفية، وكل عظيم كبير الشأن ثقل، وكل شيءٍ نفيسٍ مصونٍ ثقل، وكل خطيرٍ نفيسٍ ثقل، وكل ما لا تدرَك حقيقته للخلق من الخلق ثقل، وكل ما شقَّ تحمّله ثقل، وكل ثقيل الوزن عظيم القدر ثقل، وكل واحد من هذه المعاني يناسب

---

١- رسائل آل طوق القطيفي ج ٣ ص ١٦٧.

٢- لطائف الأعلام ص ١١٦.

الحديث الشريف بوجه، وبالجملة لما كان الكتاب والعترة أعظم خزانة خزنت في السماوات والأرض، لأنهما غاية الموجودات، ولما اشتملا عليه من خزائن أسرار الله، وعلم الأول والآخر والظاهر والباطن، والغيب والشهادة والمبدأ والمعاد، كانا أعظم الخلق وأكبره شأناً، وقد صِين سرُّهما وعلانيتهما عن جميع نقائص الخلق، وعن أن يدرك حقيقتهما إلا الله ورسوله.

الثاني- كيف يكون الكتاب هو الثقل الأكبر والعترة هم الثقل الأصغر؟.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن الكتاب من حيث هو مضاف لله عزّ اسمه، أكبر ثقلاً من العترة من حيث هي مضافة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فالإضافة للمعبود أكبر من الإضافة للعابد.

ثانيها: قوله "الثقلين الأصغر والأكبر".

المعنى: عقلهم، واللفظ: قرآنهم، فعقلهم قرآن وقرآنهم عقل، فلما تنزّل إلى عالم الشهادة كان الإمام شريك القرآن، فإن قسمت هذه الحجة الظاهرة إلى عقل وجسم، كان العقل الذي هو القرآن الثقل الأكبر، والجسم الحامل للقرآن الثقل الأصغر، فالعقل أكبر من الجسم وأفضل، والعاقل أكبر من العقل وأفضل، ومن حيث أن القرآن قسيم عقلهم، وأن جميع علومهم مستندة إليه، فمن حيث ذلك حَسُن أن يقال: هو الثقل الأكبر، مع أنه بالنسبة إلى أجسامهم عند الانقسام كذلك، ومن

حيث أنهم الكتاب الناطق والعاقلون، فهم مجموع القسمين أكبر وأفضل، مع أن الحقيقة الجامعة للكل حقيقتهم)[1].

ولله در هذا العلامة لتحقيقه وتحليله، فهذا من أروع ما قيل في تحليل هذه الرواية، التي تشير إلى أن القرآن-حقائق القرآن، وأهل البيت-حقائق أهل البيت عليهم السلام-، من سنخٍ واحد، ونور واحد ومنبع واحد، لذلك لا يمكن أن يكون بينهما انفكاك وافتراق، وإنّ فكَّ أحدهما عن الآخر يعني الموت لهذه الحقيقة.

ومن الممكن أن يشكك البعض، كيف يكون أئمة أهل البيت هم عقل القرآن؟ والجواب: كما أن القرآن هو خُلُقُ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما قيل في وصفه: (كان خلقه القرآن)، والأخلاق هي إشارة إلى حقيقة عقل الإنسان العملي، جاز أيضاً أن يكون القرآن هو عقل وروح أهل البيت عليهم السلام بنفس المعنى.

وهناك أيضاً إشارة خفيّة إلى عصمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما يشترطه أتباع أهل البيت فيمن يتصدّى للإمامة، وعلى رأس الشروط النص من الله أو رسوله، وأن يكون الإمام معصوماً، وذلك باعتبار أن الإمام من مهامّه الهداية وحفظ الدين وإيصاله إلى الآخرين، والتطبيق والتجسيد لهذا الدين والشريعة، فمن هذا المنطلق نقول: إن هذه المهام الدينية لا يمكن أن يقوم بها إلا الإمام المعصوم، والعصمة مرتبة لا يمكن تحصيلها لأي شخص كان، وهي خفيّة لا يمكن معرفتها من عموم الناس،

---

١- رسائل آل طوق القطيفي ج٣ ص ٤٣٥-٤٣٩.

باعتبار أنها من المراتب الباطنية والغيبية.

## ما هي العصمة؟

العصمة هي كيفية نفسانية ومرتبة خفية باطنية، لا يعلمهـــا إلا الله تعالى شأنه، ومن ألهمه الله تعالى علم ذلك[1]، ولإيضاح هذا المطلب يقول الأستاذ السيد كمال الحيدري: (عندما نأتي إلى حقيقة العصمة، فالملاحَظ أن القرآن الكريم، والمرويات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأئمة أهل البيت عليهم السلام، لا تفسر حقيقة العصمة ببعد عملي، أي لا تبيّن حقيقة العصمة على أساس البعد العملي، بل على أســـاس البعـــد العلمي الاعتقادي، ومن ناحية تبين أن هذا البعد العلمي هو سنخ علم لا ينفك عنه الأثر والعمل المترتب عليه)[2].

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٥٩.

٢- بحث حول الإمامة ص ١٩٥.

## مظاهر الإمامة الملكوتية المعنوية

بعد أن اطلعنا على مظاهر الإمامة السياسية، التي هي -كما قلنا- الحكومة والحكم وتنصيب القضاة والقادة وقادة الجيوش، واطلعنا على مظاهر الإمامة الدينية، وقلنا: هي الهداية وحفظ الدين وإيصاله وتطبيقه، نأتي لنتعرف على مظاهر ومهام الإمامة الملكوتية المعنوية.

الإمامة الملكوتية لها مهام في جذر وعمق الوجود، لذا يذهب فريق من الحكماء والفلاسفة والعلماء، إلى أن الإمامة ضرورة من ضروريات عالم الإمكان، وهذه الضرورة هي الداعي المحرك لهذه الموجودات، من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وهي التي أعطت للإمكان كوناً ووجوداً.

ويمكن أن نوضح هذا المطلب في عدة نقاط:

### أولاً- العلة الغائية

ما هي الغاية من الخلق؟

ففي الآية الكريمة: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

فما هي العبودية؟

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ( العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فُقِدَ في العبودية وُجِدَ في الربوبية)[2]، وقال الإمام علي عليه السلام موضحاً ذلك: ( وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها

---

١- سورة الذاريات الآية ٥٦.

٢- هدي العقول ج٣ ص ١١٣.

بالعلم والعمل شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها، وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[1].

فمن هذه الكلمات المكنونة من خزانة الأسرار، يتضح لنا أن الغاية لهذا الخلق هي الوصول إلى منتهى القرب الإلهي، وتحقق الإنسان بالصفات الإلهية، وأن يكون الإنسان مثاله مثال المرآة، يعكس الصفات الجمالية والجلالية على جميع عوالمه، سواء الظاهرية الحسية أو الباطنية المعنوية، وأن لا ينسلخ أو ينفكَّ أو يفترق عنها ولو طرفة عين.

هل تحقق هذا الغرض؟ نعم .. تحقق في الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام.

هل كان هذا التحقق محصوراً فقط في زمن من الأزمان؟.

أم هو مستمر مع كل فترات الزمان؟.

من الممكن أن يسال القارئ: وما الفرق في ذلك؟ نعم، هناك فرق، لأننا إذا قلنا أنه محصور في زمن محدد كزمن النبوة، فهذا يعني أن وجود الخلق بعد زمن النبوة عبث في عبث، وإذا قلنا أن الغرض يجري مع الخلق في كل الأزمان، فمن الذي تحقق فيه الغرض بعد زمن النبوة؟.

وبمعنىً آخر: من هو العلة الغائية لهذا الوجود، بكل مراتبه الملكوتية والملكية، الخلقية والأمرية؟.

قلنا: إن الغاية من الخلق هي الوصول إلى جوهر العبودية، والتحقق بالصفات الإلهية، وهذا يتطلب العصمة من جهة، والعلم الإحاطي اللدُنّي

---

١- المصدر السابق ص ١١٧.س

من جهة أخرى، وليس هناك مفر من الاعتراف والإذعان بوجود مثل هذا المخلوق الذي يتمتع بهذه الصفات، فمن يكون هذا؟.

الفرقة الإمامية الاثنا عشرية تقول: إن العلة الغائية بعد النبي والرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، هم الأئمة عليهم السلام، واحداً بعد واحد، وفي هذا الزمن هو الإمام الحجة المهدي محمد بن الحسن عجل الله تعالى فرجه، مادون هذه القناعة وهذا الاعتقاد، يعني اعترافاً مبطّناً بالعبث من وجود الخلق والحياة والوجود، ولا يمكن أبداً حل هذا الإشكال، إلا بالاعتراف والاعتقاد بأئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، فهم في مرتبة ثانية بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بحسب عالم البشرية، وترتيب الخلقة الإنسانية، كما أن السيدة فاطمة عليها السلام، بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هي في مرتبته أي الأولى، ... وأما باعتبار كونهم عليهم السلام في مرتبة ثانية بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحسب العلوم الربانية والمقامات العقلانية ...)[1].

وخلاصة هذا المطلب أن الإمام المعصوم هو قطب الموجودات ، وهو المتحقق بالكمال الإنساني في عالم الإمكان، وتتضح هذه العلة الغائية من خلال هذا الحديث القدسي: ( يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما )، وليس معنى الحديث كما يتوهم البعض، أن فاطمة- روحي فداها- هي أفضل من أبيها وزوجها، لأن هذا الحديث ناظر إلى الأسباب والأجزاء المتممة للعلة الغائية، وهو

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ١٠٨- ١٠٩.

الاستمرار والبقاء لهذه العلة، وهذا التوجيه يرفع التنافي الـــذي يمكـــن أن يتوهّمه البعض، حيث: (لا تنافي بين هذه القضايا، وذلك لأن الغرض التام إذا كان لا يتحقق إلا بمتممات، يصبح المتمم له دخل في وجوده، بنحـــو الداعي أو الجزء أو الشرط)[1]، فالعالم الإمكاني قائم ومستمر لوجود الإمام المعصوم، وفي هذا العصر هو قائم بفضل وجود الإمام المهدي- روحـــي فداه-، وأنه المقصود الأصلي والغرض الحقيقي من خلق جميع ما أنشـــأه الباري تعالى شأنه، وكذا آباؤه الطاهرون عليهم الســـلام، فهـــم العلـــة الغائية، وخَلْقُ ما سواهم لأجلهم)[2].

**ثانياً- العلة الفاعلية**

ربما تكون هذه النقطة من أكثر النقاط إثارة للجدل والنقاش، وذلك لما تتضمنه من المعنى العميق، وقد حارت في فهمها بعض العقول، وزلت أقدام بعض أهل العلم وأرباب القلم، ففهموا من معناها غير ما أريد لها، لذلك رُمِيَ القائل بها تارة بتهمة الشرك، بمعنى أنه قد جعل لله شريكاً في فعله، وتارة بتهمة التعطيل، بمعنى أن الله تخلّى عن خلقه، تعالى الله عـــن ذلك علواً كبيراً، وتارة ثالثة بأنه من أهل البدع.

والسبب في كل تلك التهم، القصور في الفهم، والتسرع في الحكم، ذلك أنه إذا ما صلح التصور للقضايا والمفاهيم، صلح معه الفهم والعلم، وإذا ما انحرف التصور للقضايا والمفاهيم، انحرف تبعاً له الفهم والعلـــم،

---

١- المظاهر الإلهية ج١ ص٣٣٤.

٢- مكيال المكارم ج١ ص٧٦.

وهؤلاء قد تصوروا أن ذلك المفهوم، يعني اعتزال الله سبحانه عن خلقه، وتوكيل المهمة إلى بعض هؤلاء الخلق، دون أن يكون لله تعالى أي تأثير أو فاعلية، وهذا التصور خاطئ، إذ لا فاعل بالذات إلا هو سبحانه، وفعل ما سواه مستند إلى فعله وإرادته ومشيئته تبارك وتعالى، وهذا ما تشير إليه بعض الآيات القرآنية، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

- قوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾[1].
- وقوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[2].
- وقوله تعالى: ﴿وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى﴾[3].
- وقوله تعالى: ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾[5].

وغيرها الكثير من الآيات، تشير إلى استناد الفعل الإنساني إلى المشيئة الربانية والإذن الإلهي.

وليس هناك مؤمن يقول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو أحد من أهل بيته عليهم السلام، يفعلون في معزل عن إرادة الله ومشيئته، بل هم السبب بيننا وبين الله، سواء ذلك في الوجود أو آثاره.

---

١- سورة الإنسان الآية ٣٠.

٢- سورة التكوير الآية ٢٩.

٣- سورة الأنفال الآية ١٧.

٤- سورة آل عمران الآية ٤٩.

٥- سورة المائدة الآية ١١٠.

عن محمد بن مثنى الأزدي، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقـــول: ( نحن السبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ)[1]، وعن أبي حمزة عن علي بـــن الحسين عليه السلام، أنه قال: (يا أبا حمزة، لا تنامنّ قبل طلوع الشمس، فإني أكرهها لك، إن الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد، وعلى أيدينا يجريها)[2].

وهذا لا يتعارض مع فاعلية ورازقية الله سبحانه وتعالى، لأن: (العلة الفاعلة التي أعطت الوجود والحياة والحركة لهذا الكون، المصداق التام بل والمنحصر هو الباري تبارك وتعالى فقط لا غير، وما ينسب لغـــيره مـــن الفاعلية والتأثير، فإما باعتبار مظهريته للقدرة والإرادة الإلهية، أو باعتبـــار وقوعه في السلسلة الطولية للعلل)[3].

إذاً الاعتقاد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة من أهل بيته عليه السلام، هم في مرتبة (العلة الفاعلية) بهذا اللحاظ، وهـــو فاعليتـــهم المستمدة من الله ومشيئته وقدرته، لا يقدح في إيمان القائل به، ولا يخدش في عقيدته، بل- على العكس من ذلك تماماً- يقوّي إيمانه ويُثبّت عقيدته، وهذا ما جعل الإمامة في مصاف التوحيد والنبوّة في أصول الدين الخمسة، التي منها أيضاً العدل والمعاد، وإن التركيز على مسألة الإمامة، أكثر من غيرها من الفرائض مثل الصلاة والصوم، إنما يجري لهذا الاعتبار، وهو أنها

---

١- بحار الأنوار ج٢٣ ص ١٠١.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ٢٨.

٣- المظاهر الإلهية ج١ ص٧.

من أصول الدين وليست من الفروع.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء مائةً وعشرين مرة، ما من مرةٍ إلا وقد أوصى الله عزّ وجلّ فيها النبي بالولاية لعليٍّ، والأئمة عليهم السلام من بعده، أكثر مما أوصاه بالفرائض)[1].

فالإمام له أن يتصرف في الكون إنشاءً وإبقاءً وإنماءً وإمساكاً، بإذن الله لأنه خليفة الله، والله سبحانه وتعالى أعطاه وأقدره، ومكّنه من ذلك، وكرّمه على غيره من خلقه، ولا اعتراض على مشيئة الله، قال تعالى: ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾[2].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (نحن صنائع ربنا، والخلق بعدُ صنائعٌ لنا)[3].

## ثالثاً- العلة المبقية

بقاء العالم واستمرار الوجود الإمكاني منوطٌ ببقاء الإمام ووجوده، ويستدل على ذلك بالدليلين العقلي والنقلي معاً.

الدليل العقلي

إنه لما كان العالم محتاجاً ومفتقراً في وجوده، إلى العلة المخرجة له من ظلمة العدم إلى نور الوجود، فهو أيضاً-أي العالم- محتاجٌ إلى نفس العلة

---

١- بحار الأنوار ج٢٣ ص ٦٩.

٢- سورة الأنبياء الآية ٢٣.

٣- مكيال المكارم ج ١ ص ٧٦.

وذاتها في بقائه وديمومته واستمراريته، فاستمرار المعلول- الذي هو عالم الإمكان- وبقاؤه باستمرار، وبقاء علته -الذي هو الإمام- التي تفيض عليه الوجود، مثال ذلك الشمس، فلو انعدمت الشمس التي هي العلة، انعدم تبعاً لانعدامها النور المعلول بها.

الدليل النقلي

لقد تضافرت الروايات في توكيد هذا المعنى، فمنها:

عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر بن علي- الباقر- عليه السلام: لأي شيء يُحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام؟ فقال: (لبقاء العالم على صلاحه)[1].

وعن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: (لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت)[2].

وعن سليمان بن جعفر الجعفري قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: تخلو الأرض من حجة؟ فقال: ( لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها)[3].

والأرض هنا تعبير بالجزئي عن الكلي، كما يعبر بذلك أهل المنطق والفلسفة، والتعبير بالأرض هو من باب إطلاق الجزئي على الكل.

إن المراد من قول الإمام عليه السلام: (لو خلت الأرض طرفة عين

---

١- مكيال المكارم ج١ ص١٤٦.

٢- بحار الأنوار ج٢٣ ص ٢١، علل الشرائع ج١ ص ٢٣١.

٣- علل الشرائع ج١ ص ٢٣٤.

من حجة لساخت بأهلها)، (أن الحجة هو الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، فإذا ارتفع الحجة عليه السلام من الوجود يسيخ- الوجود- بأهله، وذلك لانقطاع الفيض الإلهي بذهاب الواسطة، وقد تقدم أن المستفيض المحدود يعجز عن تلقي الفيض اللاّ محدود إلا بالواسطة، ومع انعدام الواسطة ينقطع الفيض)[1].

و ( بما أن المؤمنين المتدينين لا يتسنى لهم الوصول إلى مقام التوحيد "الشهودي والتحققي"، ولا يحظون بهذين المقامين العاليين، يتوجب عليهم إذاً مبايعة مقام "الولاية المطلقة" المجسِّدة للتوحيد الشهودي والتحققي، والحائزة للقرب الفرائضي والنوافلي الإلهي، والفانية هويتها في حقيقة الحق، ليتشخص توحيدهم البرهاني بتوحيد شهودي، ويكتمل إيمانهم، وقد جاء في الأثر عن المعصوم: (بنا عُرفَ الله وبنا عُبدَ)[2].

وجاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ( لا تقوم الساعة حتى يخرج نحو من ستين كذاباً، كلهم يقول: أنا نبي)[3].

---

١- المظاهر الإلهية ج١ ص ٢٦٥.

٢- العارف الكامل ص ١٨١.

٣- بحار الأنوار ج٢١ ص ٤٢٢.

# الفصل الثاني

# أصالة حقيقة المهدي (عج)

## هل المهدي حقيقة ثابتة؟

هل المهدي حقيقة ثابتة؟.

أم هو مجرد ادّعاء كاذب وفكرة خرافية وهمية؟.

من باب الأمانة العلمية نقول: إن البعض يصنف فكرة المهدي ضمن الأفكار الخرافية، وذلك لأجل أغراض شخصية أو أهداف ذاتية، وهؤلاء - وإن كانوا قلة نادرة جداً- ينكرون حقيقة المهدي، ويرفضون قبول هذه الحقيقة، ويقولون: إنها ليست حقيقة من الحقائق، وإنما هي وهم وخيال وخرافة وأكذوبة.

وما هو دليلهم على ذلك؟

الدليل على ذلك عندهم، هو أن شخصية المهدي قد انتحلت مراتٍ كثيرةً وعديدة، وادّعاء الكثيرين من الناس كذباً، كل واحد منهم على أنه المهدي، هو بحد ذاته دليل على بطلان حقيقة المهدي.

هكذا ( قد حاول البعض، أن يجعل من ادّعاء المهدوية سبباً للطعن بفكرة المهدي وأصالتها، والعكس هو الصحيح، فالادّعاء يدل على أن المدّعين يستغلون حقيقة موضوعية، واعتقاداً راسخاً عند الناس، ثم لو صح أن الادّعاء مبطل لأصل القضية، فلازم ذلك إبطال النبوّات، لكثرة المدّعين بها)[1]، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

---

١- بحث حول المهدي ص ٩-١٠.

(لا تقوم الساعة حتى يخرج نحو من ستين كذّاباً، كلهم يقول أنا نبي)[1].

(وليس لدى جميع هؤلاء ما يدعم إنكارهم من الأدلة والمستمسكات الموثوقة، بل الدليل قائم على خلاف مذاهبهم، .... لثبوت التواتر كما حكاه غير واحد)[2].

(ينطلق المنكرون للإمام المهدي، من دوافع ومنطلقات لا تنسجم مع منهج الإسلام العام في طرح القضايا، ... الذي يعتمد على العقل والمنطق والفطرة ... يقوم في جانب مهم منه على ضرورة الإيمان بالغيب، وإن هذا الغيب سواءٌ تعقّله الإنسان وأدرك جوانبه، أو لم يستطع إدراك شيءٍ منه، وخفيت عليه أسراره ...)[3].

يمكن للمتتبع لهذه الحقيقة،- من خلال قراءة الأديان والمذاهب، والفرق والمدارس الفكرية والإيديولوجيات المختلفة- أن يلمس منها جميعاً أنها متفقة على أن حقيقة المهدي، الذي سيكون في آخر الزمان، حقيقة واقعية لها أصالتها في جميع المعتقدات الدينية، ونحن هنا الآن لا نتكلم عن المصداق لهذه الحقيقة، أي من هو المهدي، وإنما حديثنا حول الحقيقة المجرّدة، وأما من هو المهدي وما هي صفاته ومقاماته، فهذا بحث آخر، سيأتي أوان الكلام عنه فيما بعد، أما الآن فنحن بصدد إثبات الفكرة والحقيقة المهدوية فقط.

---

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٢٢.

٢- بحث حول المهدي ص ٩-١٠.

٣- المصدر السابق ص ١٢.

# الأدلة على إثبات أصالة حقيقة المهدي

## أولاً– الإلهام الفطري

ما هي الفطرة؟:

الفطرة: هي الابتداع والاختراع، قال الله سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي أنا ابتدأت حفرها)[2].

ومن معانيها: الخلقة.

و: (ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به)[3].

من خلال الدراسات الواسعة، وجدنا أن الإنسان تحركه فطرته - بشكل دائم وإلحاح مستمر- نحو نوعين من الاحتياج:

١- الحاجات الفطرية المتعلقة بالجانب المادي والحسي، وعلى رأس هرم هذه الحاجات: الطعام لسد الجوع، والشراب لسد العطش، واللباس لستر العورة، والجنس لاستمرار النوع، والراحة لإرجاع النشاط والحيوية، وهذه الأنواع من الحاجات، لا يمكن لأي إنسان أن يتنكّر لها، أو يلتفّ عليها.

---

١- سورة فاطر الآية ١.

٢- لسان العرب ج٥ ص ٦٦.

٣- المصدر السابق.

٢- الحاجات الفطرية المتعلقة بالجانب المعنوي، كالحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى العدل، والحاجة إلى الحرية والمحبة والكرامة والتعاون.

وعندما نتأمل هذه الأقسام والفروع كلها، سواء المادي منها والمعنوي، نرى أنها مطلب إنساني منذ أول يوم تكوّن فيه الإنسان، وأول يوم يخرج فيه إلى الدنيا ساعة ولادته، فهو بالفطرة يبحث عن الغذاء من طعام وشراب، فيلتقم ثدي أمه لذلك الغرض، ويبحث عن الأمن والأمان والحنان والحب، فيجده في حجر أمه، فيتقلب في حضنها مطمئناً، وهذه الحاجيات تلازم الإنسان رضيعاً وصغيراً وشابّاً وكبيراً، في الدنيا والآخرة، وإن اختلفت صورها وموادّها.

يقول الإمام الخميني قدس سره: (هذه الفطرة أثبتها المشايخ العظام، وحكماء الإسلام الكبار، ... وأثبتوا بها الكثير من المعارف الإلهية)[1].

وبما أن هذا الأمر ثابت من جهة الفطرة الإنسانية، وضمن حاجاتها الذاتية، فلا بد أن يأتي يوم من الأيام، تتحقق فيه كل الاحتياجات السامية للبشرية جمعاء، ومن هذا الاعتبار الاحتياجي يُستَدَلُّ على حقيقة المهدي، لأن المهدي يسد جميع هذه الاحتياجات معاً، ماديَّها ومعنويَّها، حيث أن دوره ورسالته يقتضيان تقويم وعلاج وشفاء الإنسانية والبشرية، والكون كله، من الجانبين معاً، المادي والحسي والصوري، والمعنوي الباطني، ولن يقتصر دوره فقط على علاج وسد الحاجات المعنوية، بل سيقوم الإمام المهدي بسد الحاجات المادية كذلك، فيقضي على الفقر والحرمان والجوع

---

١- العارف الكامل - حاشية ص ٢٠.

والمرض.

فالمهدي عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه، ليس مصلحاً للجانب المعنوي فقط، وإنما هو مصلح للجانب المادي أيضاً، فجميع من في عالم الإمكان سينعمون بالخير والرفاه، والعيش الرغيد والحياة الكريمة في وقت ظهوره، والإيمان بهذا الأمر يتحرك من أعماق الفطرة الإنسانية والبشرية.

**ثانياً- برهان العشق**

برهان العشق هو في الأصل، من البراهين التي يسوقها بعض الحكماء والفلاسفة لإثبات الآخرة، ومعنى هذا البرهان، أن الإنسان يعشق الخلود، ويعشق اللذة من غير ألم، ويعشق الخير المطلق، وهذا العشق متغلغل في أعماق النفس الإنسانية، فلا بد إذاً أن يأتي يوم أو وقت يمكن للإنسان أن يحقق فيه كل ذلك، نعم ليس من الضرورة أن يكون ذلك في عالم الدنيا، فإذا كان الوعاء الدنيوي لا يتسع لتحقيق هذا العشق، لعدم سعة هذا الوعاء وقابليته، فيقتضي ذلك وجود عالم آخر واسع وقابل لتحقيقه، وهو عالم الآخرة.

(فالالتفات إلى فطرة عشق الراحة والحرية، وإلى ما عليه هذا العالم، من ضيق وموانع تحول دون نيل العاشق لمعشوقه، يجعلك تقطع بعدم وجود هذا المعشوق في عالم الملك، ولأنك شعرت بالعشق، وأدركت أن معشوقك في عالم آخر، ستقبل على الآخرة)[1].

وكما أن الحكماء والفلاسفة قد أثبتوا الآخرة ببرهان العشق، فإننا

---

١- العارف الكامل ص ١٧١.

نستطيع كذلك أن نثبت حقيقة المهدي بنفس البرهان، وذلك بما يلي:

بما أن الإنسان يعشق التطور والترقي، ويعشق فتح المجاهيل العلمية، ويعشق تحويل الغيب في بعض مراتبه إلى شهادة، ويعشق إعمـــار الأرض وفتح السماوات، فهذا دليل على حقيقة المهدي، وهذا هو ما تتطلع إليه البشرية جمعاء، وتعشقه جميع الكائنات، فمن ضمن أنواع هذه التطلعات، العشق لمصلح عالمي كوني، ليس فقط للإصلاح على الصعيد الإنساني، بل على صعيد جميع مكونات هذا العالم بجميع أنواعه وأجناسه.

**ثالثاً- المهدي حقيقة جامعة**

إن المهدي حقيقة من أكثر الحقائق ارتكازاً في القناعة البشرية، بغض النظر إن كان هؤلاء البشر من المؤمنين أم لم يكونوا، لهم عقيدة صحيحة أم لا، آمنوا بالأنبياء والرسل أم لم يؤمنوا.

من الممكن أن لا يعتقد البعض أو يؤمنوا بالأنبياء والرسل، ولكنهم- مع ذلك- يؤمنون بحقيقة المهدي المصلح، الذي سيخرج في آخر الزمان، وهذا دليل على أن هذه الحقيقة قد خرجت من إطارها الديني إلى إطارها الإنساني، وكأن حقيقة المهدي هي الأوسع والأكثر عمقاً وعشقاً وإيمانـــاً بها، حتى من حقيقة الأنبياء عند الكثير من البشرية، ويعود سبب ذلك إلى أنها الحقيقة المشتركة والجامعة، التي تتجمع حولها كل الموجودات قاطبة، ومن هنا تأتي لهذه الحقيقة القوة والثبات في النفوس، منذ أقدم الأزمـــان والعصور، ويعتبر المنكر لها في عداد الكافرين.

وقد ( انتهى المحققون من علماء الفريقين، إلى القول بأن من كفـــر

بالمهدي فقد كفر بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس ذلك إلا بلحاظ أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الدين، والمنكر لذلك كافر إجماعاً)[1].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن حقيقة المهدي أوسع وجوداً من جميع الحقائق الدينية والإنسانية، والسبب في ذلك أنها ليست منحصرة في دين أو مذهب أو فئة أو طائفة أو عرق أو جنس أو لون أو قوم، بل الأمر أوسع من نطاق البشرية والإنسانية والأرض ومن عليها، لأنها في الواقع، الحقيقة المعشوقة لكل الموجودات الإمكانية على اختلافها وتباينها، فكلها تتطلع إلى المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، (إذن، فالمهدوية ليست حلم البشر على الأرض وحدهم، بل هي قانون إلهي شامل لأجزاء الكون)[2].

هذه الأدلة الثلاثة تثبت لنا حقيقة المهدي، ويمكن الاعتماد لإثباتها أيضاً على المظاهر التكوينية للإمامة، من استمرار العلة: الغائية والفاعلية والمبقية، إضافة إلى الأدلة الدينية المتمثلة في التواتر، الذي لا نظير له في أي قضية أو حقيقة أخرى، (فقد أحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة، فكان أكثر من ستة آلاف رواية، وهذا رقم إحصائي كبير، لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام)[3].

---

١- بحث حول المهدي — حاشية ص ٦١.

٢- الطور المهدوي ص ٣٤.

٣- بحث حول المهدي ص ٨٤.

ومن هذه الروايات:

- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (المهدي حق، وهو من ولد فاطمة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أنكر القائم من ولـــدي في زمان غيبته فمات، مات ميتة جاهلية)[1].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عن رسول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني )[2].

وقد اعترف بالمهدي وأقر به حتى من أنكر إمامة أهل البيت عليهم السلام من الفرق الأخرى، قال الشيخ عبد العزيز بن باز: ( أما إنكـــار المهدي المنتظر بالكلية- كما زعم بعض المتأخرين- فهو قول باطل، لأن أحاديث خروجه قد تواترت تواتراً معنوياً وكثرت جداً واستفاضت، وهو كالإجماع بين أهل العلم[3]).

وفي مجلة الفيصل السعودية، سأل قارئ للمجلة، عن حقيقة خروج المهدي في آخر الزمان، وقد أجاب الشيخ صالح الفوزان بما يلي: (وأمـــا ظهور المهدي في آخر الزمان، فالإيمان به واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة، وقـــد تـــواترت بـــذلك

---

١- المهدي المنتظر، حقيقة أم خرافة؟ ص ١٩٤.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ٥٧.

٣- المهدي وفقه أشراط الساعة ص ٨٩، سيكولوجية الانتظار ص ١٢٧.

الأحاديث عن النبي صلى الله عليه- وآله- وسلم)[1].

فحقيقة المهدي إذاً ثابتة بالأدلة الفطرية والوجدانيـــة، وبالنصـــوص الدينية، وعلم الاجتماع العام الإنساني، وهي ثابتة أيضاً بأدلة من الكتاب التكويني، فالكون كله دليل على حقيقة المهدي.

- عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال في شأن أولي العزم من الرسل: ... (وإنما سُمّوا أولي العزم، لأنهم عُهِدَ إليهم في محمـــد صلى الله عليه وآله وسلم، والأوصياء عليهم السلام من بعده، والمهـــدي عجل الله فرجه وسيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك، وأقروا به)[2].

---

١- المهدي المنتظر حقيقة أو خرافة؟ ص ١٨٨.

٢- علل الشرائع ج١ ص ١٤٨.

# الفصل الثالث

# المهدي والكمال الوجودي

## الإيمان بالغيب

دعونا نؤسس بحثنا على ركيزة أساسية، وهي ركيزة الإيمان بالغيب، ما هو الغيب؟.

(الغيب: كل ما غاب عنك، وأيضاً ما غاب عن العيون، وإن كان محصَّلاً في القلوب)[1].

والغيب: عكس الشهادة، في التقسيم الأولي للوجود أو الموجودات، باعتبار أنها تنقسم إلى عالَمين: عالَم الغيب وعالَم الشهادة، قال تعالى: ﴿عالِم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[2]، وقال: ﴿عالِم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾[3]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ ذلك عالِم الغيب والشهادة العزيز الرحيم﴾[4].

والغيب بتعبير آخر: ما يتعالى على الحواس، وأهم ما في هذا الغيب نوعان:

النوع الأول: الغيب الماضوي، أي الماضي بكل تاريخه وأحداثه.

النوع الثاني: الغيب المستقبلي، بكل ما سيجري ويقع في المستقبل.

ونحن في هذا العصر نؤمن بكلا النوعين من الغيب، الغيب الماضوي

---

١- لسان العرب ج١ ص ٧٦٧.

٢- سورة الرعد الآية ٩.

٣- سورة المؤمنون الآية ٩٢.

٤- سورة السجدة الآية ٦.

والغيب المستقبلي معاً، فإننا لم نر الأنبياء والرسل، ولم نر حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الأئمة عليهم السلام، ولم نعش معهم، ولا كنا من المعاصرين لهم، ومع ذلك فنحن نؤمن بهم إيماناً يقينياً، على وجه الإجمال والتفصيل.

فنحن إذا نؤمن بالغيب الماضوي، وإذا ضممنا إيماننا به إلى الإيمان بالنوع الثاني، وهو الغيب المستقبلي- وفي مقدمة هذا الغيب اليوم الآخر وخروج المهدي،- فسيكون هذا الإيمان فريداً من نوعه، ومن الممكن أن يكون المؤمن- في عصرنا- بهذين النوعين من الغيب، قد تخطى درجة الكثيرين من المؤمنين، حتى ممن صحبوا الأنبياء والرسل، وكانوا معهم في فترة زمانية واحدة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يا علي، أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً، قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي، وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسواد على بياض)، أي بالأحاديث التي كتبت على القرطاس[1].

فنحن- في مثل هذه الصورة- لم نر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الإمام المعصوم عليه السلام، كما أن إمام زماننا الذي نؤمن به وننتظر ظهوره، هو في عصر الغيبة، فنحن إذاً نؤمن بالغيب بكلا شقيه وجزأيه الماضوي والمستقبلي، وإذا كان هذا الإيمان صادقاً وعن معرفة وبرهان، فصاحبه من أعظم المؤمنين، ويثير العجب، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١- ينابيع المودّة ج ٣ ص ١٦٩، بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٦٦.

## ما الذي سيأتي به الإمام المهدي (عج)؟

سوف يأتي الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهو يحمل مشروعاً إصلاحياً عظيماً على جميع الأصعدة والمجالات، وبكلمة أو جملة مختصرة، سيأتي وهو يحمل حقائق الكمال الوجودي، وسيقوم بإيصال الخلق والموجودات كلها إلى كمالها وهدفها وغايتها.

## كيف سيحقق الإمام المهدي هذا الهدف الصعب؟

ما هي الوسائل التي سيستخدمها لتحقيق هذه الأهـــداف العظيمـــة والكبيرة؟.

وبتعبير آخر، ما هي الخطوات التي سيتم بها إنجـــاح هـــذه المهمـــة الربانية؟.

### أولاً– تجلي العلم والمعرفة

من الأمور التي اتفق عليها العقلاء، أن العلم والمعرفة هما من أوســـع المجالات والمحاور، سواء على الصعيد الإنساني أو على الصعيد الكـــوني، ومن المعلوم أيضاً، والمؤكد بشهادة القرآن الكريم وشهادة العلماء، أن هذا الكم الهائل من العلم والمعرفة الذي توصل إليه الإنسان، ليس في الواقع إلا نقطة واحدة من بحر العلم الواسع ، وأن المجهولات والأسرار والألغـــاز لا يمكن حصرها أو وصفها، وهذا اعتراف الكثيرين من العلمـــاء الإلهـــيين والماديين على حد سواء، ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[1].

وإن ما نشهده اليوم ونراه من تقدم ورقي وحضارة، إنما تمّ بمفـــاتيح العلوم التي فُتحت بها العديد من المجهولات، وكُشف بها الكثير من أسرار المغيَّبات، وإن هذا لشيءٌ رائعٌ حقاً ومذهل، ولكن الذي لا يعلمه الكثير

---

١- سورة الإسراء الآية ٨٥.

من بني الإنسان المبهورين بزخارف الحضارة المادية والصورية، أن كل هذه الإنجازات العلمية والحضارية، ما هي إلا صفرٌ، أو على الأكثر نقطة في عالَم الأرقام، إذا ما قيست بما سوف يتجلّى و يتحقق من العلوم، وما سوف ينفتح من أسرارها وحقائقها وأبوابها، يوم الظهور المبارك للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه.

جاءت في تأكيد هذا المعنى، وتثبيت هذه الحقيقة، بعض الروايات والأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، منها:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ( العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثّها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً)[1].

- عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (كان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيفة صغيرة)، فقلت لأبي عبد الله: أي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: (هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف)، قال أبو بصير: قال أبو عبد الله: فما خرج منها حرفان حتى الساعة)[2].

- وفي حديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: (وتؤتَون الحكمة في زمانه، حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٣٠٤، بحار الأنوار ج ٢١ ص ٥٠٦.

٢- حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية ص ٨٠.

صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ( يا كميل، ما من علم إلا وأنا أفتحه، وما من شيء إلا والقائم يختمه)، المراد بشيء: إما العلم، بقرينة صدر الكلام، وإما جميع الكمالات والأخلاق الحسنة، والعلوم والمعارف الحقة التي أظهر سائر الأئمة بعضها، بمقتضى صلاح زمانهم، والقائم عجل الله فرجه يظهر جميعها، فالجميع يختم بظهوره[2].

وفي حديث الراهب الذي أسلم على يد مولانا الكاظم عليه السلام: (... ثم إن الراهب قال: أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت، فتبين في الأرض منها أربعة، وبقي في الهواء منها أربعة، على من نزلت تلك الأربعة التي في الهواء؟ ومن يفسرها؟ قال عليه السلام: ذاك قائمنا، ينزلها الله عليه فيفسرها، وينزل عليه ما لم يترل على الصدّيقين والمرسلين والمهتدين)[3].

والكشف عن هذه العلوم، وتجلّي هذه الأسرار، لم يُتَحْ لأحد إظهاره وكشفه قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه، لامن الأنبياء ولامن الأوصياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك إما بسبب عدم وجود القابل لتلقي هذه العلوم والأسرار، أو - من جانب آخر- لخوفهم من أن يُتَّهَموا في دينهم، ومما يؤيد الأول قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: (إن هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حاملاً)، ويؤيد الثاني قول الإمام زين العابدين عليه

---

١- مكيال المكارم ج ١ ص ١٥٤.

٢- المصدر السابق ج١ ص ١٣٩.

٣- مكيال المكارم ج ١ ص ١٣٩ .

السلام:

إنـــي لأكتم من علمي جواهره  كي لا يراه أخـــو جهلٍ فيفتتنا
وربَّ كنـــز علوم لـــو أبوح به  لقيل لـــي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي  و لارتأوا قبـــح ما يأتونه حسنا

وبما أن لهذه الجواهر العلمية والمعرفية وجوداً، فلا بد لها من تحقـــق، وتجلٍّ وظهور وانكشاف، كي يستفيد منها الإنسان والكون، ومن هنـــا يصل الإنسان إلى حقيقةٍ مهمة، وهي: كم كان الإنسان ظلوماً وجهولاً، عندما حرم نفسه من هذه العلوم والمعارف، طيلة هذه الآلاف من السنين، فيصل إلى أنه كان يعيش حقيقة الحرمان من هذه المعارف الإلهية التي كان باستطاعته أن يصل إليها منذ زمن بعيد، لو أطاع الله عزّ اسمه، ورســـوله صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة عليهم السلام من بعده.

وأختتم هذه النقطة المهمة بهذا المبحث، الذي يكشف لنـــا حقيقـــة التقدم والحضارة من زيفهما ووهمهما.

**المعيار الحقيقي والواقعي للتقدم والحضارة**

ما هو المعيار الحقيقي والواقعي للتقدم والحضارة؟.

لكي يكون الجواب شافياً، فنحن بحاجة إلى تقديم مقدمة توضيحية، وهي:

إن حياة الإنسان تخضع إلى قسمين من الحاجات:

١- الحاجات المادية: وهي التي تدور في الفلك المـــادي والطبيعـــي للإنسان، كالطعام والشراب واللباس والمسكن ووسائل التنقل .. إلخ.

٢- الحاجات المعنوية: وهي التي تدور في فلك العالَم المجـــرَّد، وإن كان له انعكاس على البعد الأول، الفلك المادي من الحاجات الإنســـانية، ومنها: الإيمان والعبادة والأخلاق والقيم .. إلخ.

بمعنىً آخر: للإنسان حاجات تخص المظهر، وحاجات تخص الجوهر، والحقيقة الإنسانية هي بالجوهر وليست بالمظهر، بإنسانية الإنسان وليست بماديته وترابيته.

إذا فهمنا هذه المقدمة، نأتي إلى سؤال آخر:

التقدم والحضارة والمدنية والتطور، بأي منهما يتحقق؟ وفـــــي أي منهما يكمن؟ في المظهر أم في الجوهر؟ في البعد الحقيقي للإنســـان؟ أم في البعد الصوري؟.

الجواب على هذه الأسئلة دون تعسف وتأويلات، يوصل الإنســـان إلى معرفة الحقيقة عن هذا التقدم وهذه الحضارة.

لا يختلف اثنان في أن التقدم الحالي قد صبّ جميع أشكاله وأنواعه في الجانب الأول، وهو الجانب المادي والمظاهر المادية، من أمثلة ذلك وسائل النقل، التي كانت تعتمد في السابق على الخيل والحمير والبغال والجِمال، بينما تعتمد اليوم على السيارة والطائرة والقطار، وقس على ذلك.

وعندما نعود إلى القرآن الكريم ونستعرض آياته، نراها تذكر التقدم والتأخر كذلك، ولكن أي نوع من التقدم؟ يقول القرآن الكريم: ﴿ كلا والقمر والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر، إنها لإحدى الكبر، نذيراً للبشر،

لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخّر﴾[1].

ذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿ إنها لإحدى الكبر﴾، أن الضمير يعود إلى "سقر"، والكبر جمع كبرى، والمراد بكون سقر إحدى الكبر، أنها إحدى الدواهي الكبر، لا يعادلُها غيرها من الدواهي، وقيل في قوله تعالى: ﴿ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾، المراد بالتقدم والتأخر: الاتّباع للحق ومصداقه الإيمان والطاعة، والمراد بالتقدم والتأخر، السبق إلى الخير والتخلف عنه[2].

إذاً التقدم في الرؤية القرآنية، هو في الإيمان والخير وتحقيق الفضيلة، كما جاء في التفسير، التقدم: هو السبق إلى اتّباع الحق، والتأخر: هو الإحجام عن اتّباع الباطل.

فالتقدم المطلوب قرآنياً هو في البعد الجوهري للإنسان، وليس في المظاهر والماديات واتّباع الصيحات والذوبان في الموديلات.

مما تقدم يتضح لنا المعيار الحقيقي المراد من التقدم والحضارة، وهو الذي يقوم على أساس بناء الإنسانية بناء جوهرياً، وهذا يعني لنا أمرين:

الأول- التقدم المتصل بالذات الإنسانية الثابتة، لا بالعوارض المتغيرة والمتحولة والمتبدلة المنفصلة عن الذات، كتقدم الآلات والوسائل التي هي خارجة عن ذات الإنسان وحقيقته.

وربما يسأل القارئ، أليس هذا النوع من التقدم-التقدم المادي-هو

---

١- سورة المدّثر الآية ٣٢-٣٧.

٢- تفسير الميزان ج٢٠ ص ١٠٣.

من نتاج الفكر البشري وبواسطة العقل الإنساني؟.

نقول نعم، ولكن الإنسان قدّم المادة الجامدة وحرّكها وقام بتفعيلها، وبنى الحضارة وغفل عن نفسه وذاته، وهو في هذا المجال ما زال يراوح في مكانه، جاهلاً حقيقة نفسه وجوهر ذاته.

خذ مثالاً على ذلك الحربين العالميتين الأولى والثانية، فـ (في الحرب العالمية الأولى قتل في ساحة الحرب تسعة ملايين إنسان، وأصبح ٢٢ مليوناً من المعاقين والمشوّهين، وفقد أكثر من خمسة ملايين، وبلغت ميزانية الحرب كلها حوالي ٤٠٠ مليار دولار، وفي الحرب العالمية الثانية، قتل سبعة عشر مليوناً، وبلغت الخسائر البشرية كلها ٣٥ مليوناً، وأريق على الأرض سبعة عشر مليون ليتر من الدماء، وبلغت خسارات سقوط الجنين وشبهه اثني عشر مليوناً، ودمرت خمسة عشر ألف مدرسة وجامعة، وخرّب ثمانية عشر ألف مختبر، وانفجرت في الجو حوالي ٤٠٠ مليار قذيفة، واضطر مليون شخص في بريطانيا لتركيب عيون زجاجية، وصنعت في روسيا ٤ ملايين رجل اصطناعية للجنود الذين قطعت أرجلهم) [1].

ما رأيك بهذه الحضارة؟ .. إنها حضارة الطمع والجشع والاستغلال، حضارة القوة والغلبة والظّفر والناب، ولتذهب الإنسانية والجوهر الإنساني – في نظر هؤلاء– إلى الجحيم، ويا مرحباً بالحيوانية والوحشية.

إن التقدم والحضارة اللذين لا يمسّان الجوهر أو الذات الإنسانية، هي

---

١– القلب السليم ج٢ ص ٤٢٢.

حضارة شوهاء ناقصة.

(من وصية أفلاطون إلى تلميذه أرسطو: ... ولا تجعل بضاعتك من أشياء خارجة عن ذاتك، لا يُعَدُّ من الحكماء من يفرح بنيل لذةٍ من لذّات الدنيا)[1]، و ( قيل أن ثريّاً تاه وافتخر على فقير، فقال لـــه: إن افتخـــرتَ بفرسك فالحسن للفرس لا لك، وإن افتخرت بثيابك فالحسن لها دونك، وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيـــك، وإن افتخـــرت بمنصـــبك فالشرف منه لا منك، فكل المحاسن خارجة عنك، وأنت منسلخ عنـــها، وقد رددناها على أصحابها وبقيت صفر اليدين)[2].

نحن لا نريد أن يتصور البعض أننا ضد السيارة والطائرة، والتلفزيون والكمبيوتر، أو ضد التطور المادي عموماً، فنحن نستمتع بخيرات ونتائج هذا التقدم والتطور إلى أبعد مدى ممكن، ونرى أنه ساهم إلى حد مـــا في إسعاد البشرية، وإيصالها إلى بعض غاياتها وأهدافها، ولكنه لم يوصل هذه البشرية إلى غاياتها وأهدافها الصحيحة، إنه لم يوصل الإنسان إلى كمالـــه الحقيقي، ولذلك فنحن هنا بصدد تصحيح مغالطة خطيرة في معنى التقدم، نريد لهذا التقدم أن يصعد بجناحين لتستقيم مسيرته، نريد لهذه الحضارة أن تطير بجناحين يعتمدان على البعدين المادي والمعنوي للإنسان، بدلاً من أن تطير به بجناح واحد فقط هو البعد المادي، فتشقي الإنسانية أكثر بكثير مما تسعدها، هذا هو هدفنا وهذه هي غايتنا من هذا البحث.

---

١- كشكول البهائي ج٣ ص ٢١٠.

٢- الإسلام والعقل للشيخ مغنية ص ١٧٢.

الثاني- التقدم المتصل بجوهر الحياة الإنسانية

ما هو جوهر الحياة؟

لا يوجد من العقلاء من ينكر أن من جوهر الحياة الإنسانية، الأمن والصحة والعلم والأخلاق والاطمئنان والعدل والحرية ...إلخ، فإذا أفرز لنا التقدم انخفاضاً ملموساً في نسبة الجريمة، ونسبة الفقر ونسبة الأمراض، بمعنى انخفاض نسبة المجرمين والفقراء والمرضى، فهذا يعتبر تقدماً حقيقياً، لكن ما نلمسه من التقدم الحالي هو العكس تماماً، فالجريمة انتشرت أكثر من ذي قبل، لأن بعض أنواع هذا التقدم تخدم المجرمين، وتصب في مجال توسيع نطاق الجريمة، والفقر والحرمان هو الآخر في ازدياد مضطرد، بل هو السمة الرئيسية لهذا التقدم، والأمراض تفتك بالعباد أكثر من ذي قبل، رغم التقدم الهائل في مجال العلم والمعرفة، فأية حضارة هذه؟ وأي تقدم وتطور هذا؟.

إنها الحضارة المادية ذات الجناح الواحد، وهو التقدم المادي والحسي الخالي من جوهر الحياة الإنسانية.

وعلينا أن ندرك أن الحياة الإنسانية، لها متطلباتها التي لا يمكن أبداً أن تتغير، هذه المتطلبات هي الجوهر الحقيقي للحياة، فإذا ما صبّ التقدم خدماته ووسائله فيما هو الجوهر، نستطيع أن نقول بكل حزم وجزم، أن الإنسان سينعم بالتقدم والحضارة، وسيسعد بهما، أما إذا ما جذّر المشاكل الحياتية، ووسّع من أمراضها، فهل نعد ذلك تقدماً وحضارة؟.

## عهد الرسول (ص) وعهد المهدي (عج)

عندما ننظر إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نراه- بالنسبة إلى غيره من العهود- عهد تقدم، وذلك من حيث ما تحقق من إنجـــازات جوهرية حقيقية في جوهر الحياة من جهة، وما أحدثه هذا العهد من تقدم في الذات الإنسانية من جهة ثانية، من حيث تحقيق معاني وقيم الإيمان في النفوس، ومن حيث الإقبال على العلم وعلى الأعمال الصالحة، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة، وتحقيق المساواة وإلغاء الفوارق المادية المصطنعة بين بني البشر، من عرق وجنس ولون و .. و .. إلخ، وتحقيق العدالة والأخوّة بين الجميع، وإعطاء المرأة مكانها ودورها الطبيعي، فهذه كلها تشكل جوهر الحياة في طريق التقدم الحضاري الحقيقي.

أما دولة ابنه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فستقوم بشكل أوسع وأكبر، فلا يقاس عهده عليه السلام بأي عهد، ولا يقـــارَن طوره بأي طور، ودولته وحكومته بأي دولة أو حكومة على وجه الدنيا كلها، فعهده من أخصب العهود، وحكمه من أثمر الحكومات، من حيث العدالة والسعادة، وارتفاع الظلم والجور، والقضاء على الفقـــر والمـــرض والجهل والخوف، وكما تعبر عن ذلك الرواية: (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

### ثانياً- التسخير الكوني

للإنسانية أهداف كبيرة وغايات عظيمة جداً، تطمح إلى تحقيقها في يوم من الأيام، ما هي هذه الأهداف؟.

نقول باختصار: إن من أهم هذه الأهداف والغايات تسخير عناصر الكون ومكوناته لخدمة الإنسان، فما هو المقصود بالتسخير؟:

(يقال: سخّرته، أي قهرته وذلّلته)[1]، فالتسخير هو التذليل، وتسخير الكون ليس أمراً مستحيلاً أو خارجاً عن قدرة الإمكان بالنسبة للإنسان، بل هو ممكن ومقدور عليه، بل الكون كله إنما وُجدَ أصلاً كيما يسخّره الإنسان إلى أهدافه الصالحة وغاياته المقدّسة، باعتبار أن عملية التسخير هي من عوامل البناء والإعمار، والتكامل للإنسان والكون والحياة، وقد وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تشير إلى ذلك، بل تؤكد عليه وتدعو إليه، وتندب الإنسان لتحقيقه.

أنواع التسخير

أهم أنواع هذا التسخير المشار إليه ثلاثة:

الأول: التسخير الزماني، قال تعالى: ﴿وسخّر لكم الليل والنهار﴾[2].

الثاني: التسخير الفضائي، قال تعالى: ﴿وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّىً﴾[3].

الثالث: التسخير الطبيعي، قال تعالى: ﴿وسخّر لكم الأنهار﴾[4]، وقال عزّ وجلّ: ﴿الله الذي سخّر لكم البحر﴾[5].

---

١- لسان العرب ج ٤ ص٤٠٨.

٢- سورة إبراهيم الآية ٣٣.

٣- سورة الزمر الآية ٥.

٤- سورة إبراهيم الآية ٣٢.

٥- سورة الجاثية الآية ١٢.

وعملية التسخير هذه ليس المقصود منها تذليل الصعاب فقـــط، أو فك بعض الرموز والشفرات، وبالتالي رفع الغموض وفتح الأقفال، وإنمـــا المراد من هذا التسخير هدف أكبر من هذا وأعظم، إذ المقصود هو تمـــام الانتفاع وكامل الاستفادة من مقدرات هذا الكون الكبير، كما يراد منها كذلك، إزالة أو رفع حالة الغربة بين الإنسان والكون، فعندما يســـتطيع الإنسان أن يقوم بتسخير موارد الكون، تزول عنه غربته، ويشعر بالألفة مع هذا الكون، وذلك لتحول الكون بفضائه وكواكبه، وأرضه وسمائـــه، وبرّه وبحره، وإنسه وجنّه، ووحشه وحيوانه، وكأنه وطن واحد، ومثـــال البيت والأسرة الواحدة، فأينما توجه الإنسان يشعر أنـــه في بيتـــه، وفي منـــزله، وبين أهله، فلا غربة ولا منفى ولا هجرة، إذ ترتفـــع الموانـــع، وتسقط الحجب عن وجه هذا الكون وموجوداته.

التسخير الحقيقي وغير الحقيقي

(الحقيقي: هو عبارة عن تسخير الله سبحانه وتعالى المعاني العقليـــة الإلهية للإنسان الكامل والولي الواصل، وجعله بقوته الباطنية إياها صـــوراً روحانية أو أمثلة غيبية موجودة في عالمه العقلي أو نشأته الأخروية، ونقله الأشياء من عالَم الشهادة إلى عالَم الغيب، بانتزاعه الكليات من الجزئيات، وقبضه الأرواح من مواد الأجسام والأشباح.

أما التسخير غير الحقيقي: فهو كتسخير الله عزّ وجلّ وجـــه الأرض وما فيها للإنسان للحرث والزرع، ومنه التسخير الطبيعي، وهو تســـخير جنود القوى ومواضعها للإنسان للتغذية والتنمية، وكتســـخير ملكـــوت

الحواس وملك أعضائها للنفس الإنسانية، وهو تسخير نفساني)[1].

ولهذا التسخير- تسخير الكون، من طبيعة وزمان وأفلاك وأملاك - شرط لن يتم بدونه، وهو الإيمان الكامل والتسليم التام لله ولرسوله ووليّه وخليفته، والمعرفة الكاملة بأسرار هذا الكون، وما يسرّه وما يسوؤه، وما يُفرِح الكونَ وما يُغضبه.

وهذه المعرفة الكاملة، لن تتم إلا في زمان صاحب الزمان، الإمـــام المهدي المنتظر، صاحب الولاية التكوينية، عجل الله فرجه الشريف.

إن عملية التسخير هذه، تقتضي وجود العالِم المطّلع على هذه النعم، بكل تفاصيلها وقابلياتها للتسخير، وإن هذه الحاجة إلى وجود هذا العالِم الشاهد، تقتضي أن يكون شاهداً موجوداً منذ الوهلة الأولى لخلق هـــذه النعم، وعالَم المسخَّرات [2].

## فتح الفضاء وتأهيل السماء

هل بالإمكان فتح أبواب السماوات؟.

إذا نحن رجعنا إلى القرآن الكريم، سنرى أن الجواب عن هذا السؤال سيكون إيجابياً، وبشكل لا يقبل الجدل والنقاش، إلا أن السؤال الأهم في هذا المجال هو: لمن تفتح السماء أبوابها؟.

يقول القرآن الكريم: ﴿إن الذين كذّبوا بآياتنا لا تُفتح لهم أبـــواب

---

١- المعجم المعين ص ٤٤١.

٢- الإمامة ذلك الثابت المقدّس ص ١٨٨.

السماء﴾[1].

يطرح القرآن هنا حقيقة هامة، وهي أن عامل التكذيب بالآيـــات، وعامل الاستكبار، هما المانع الحقيقي لفتح أبواب السماء، كما تخبر الآية، وهناك أية أخرى تقول: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا علـــيهم بركات من السماء والأرض، ولكن كـــذّبوا فأخـــذناهم بمـــا كـــانوا يكسبون﴾[2].

فهذه الآية نراها واضحة الدلالة، في أن الإيمان والتقوى من مفـــاتيح السماء، وأن التكذيب بالرسل والأنبياء والأولياء، من العوامل المانعة مـــن فتح أبواب السماء، فالإيمان والتقوى إذاً يفتحان أبواب السماء، وعصـــر الإمام المهدي هو عصر حقيقة الإيمان وحقيقة التقوى، لذلك فإن السماء ستفتح أبوابها في هذا العصر، وهذا ما سوف يتضح لنا أكثـــر في فصـــل الخلافة المهدوية.

(عن سورة عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما إن ذا القرنين قد خُيِّر السحابين فاختار الذلول، وذُخِر لصاحبكم الصعب، قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبـــه، أما إنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات السبع والأرضين السبع)[3].

---

١- سورة الأعراف الآية ٤٠.

٢- سورة الأعراف الآية ٩٦.

٣- بحار الأنوار ج٢١ ص٤٩٥.

تعرّفنا فيما سبق من النقاط على أمور هامة وضرورية، وهنا أمران لا بد أن نشير إليهما قبل الخوض في موضوع آخر.

الأول: ما يعتقده البعض من أن ما قلناه من تجلّي العلم، والتسخير الكوني، وفتح الفضاء وأبواب السماء، هو أمر أشبه بالأحلام منه إلى الواقع، أو بالأفلام العلمية الخيالية، وأنا كذلك أقول، مشاطراً به أصحاب الرأي السابق، ولكن- وكما قلنا سابقاً- إذا كان كل شيء تطمح إليه الإنسانية وتحلم به هو في حدود الإمكان، فهذا دليل على وجود الحقيقة المهدوية وأصالتها.

وقد يسأل القارئ: هل بالإمكان فعلاً أن يكون العالَم أفضل مما هو عليه الآن؟، وأقول له: نعم، بالإمكان ذلك، وقد يسأل مرة أخرى: كيف ذلك؟ وأقول له: هناك قاعدة ننطلق منها لإيضاح هذا الأمر، وهي: "إن الإمكان أعم من الكون"، أي أن إمكان أي شيء هو أوسع من كونه، ونقرب المعنى بهذا المثال: لو كنت تمتلك مادة معجونية، وهذه المادة تستطيع أن تصنع بها أي صورة وأي شكل، فإذا صنعت بهذه المادة المعجونية صورة كرسي مثلاً، أفلا تستطيع أيضاً أن تصنع منها صورة بيت؟ نعم .. تستطيع، لأن قوة الإمكان في مادة المعجون، أعم وأكبر وأوسع في أي صورة صنع فيها، فبالإمكان أن نصنع بالمعجون بيتاً وسيارة وحيواناً مجسّماً وأي شيء آخر، فإذا نحن جعلنا من هذا المعجون صورة السيارة، فالمعجون نفسه لا زال يتمتع بقوة الإمكان لأن يتحول إلى أي شكل آخر وصورة أخرى، هذا هو معنى القاعدة، فإمكان كل شيء أعم

من كونه.

فإذا كان السؤال: هل بالإمكان أن يكون العالَم والوجود، أفضل مما كان عليه، أو مما هو عليه الآن بملايين المرات والدرجات؟ سأقول: نعم، بالإمكان ذلك، وسوف يكون هذا الإمكان كائناً، في زمن ظهور الإمام المهدي صاحب الأمر والعصر والزمان، عجل الله فرجه وسهل مخرجه.

الثاني: ألم تكن هذه الأهداف، من ضمن رسالات الأنبياء والرسل، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد عليه وآله وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام؟.

والجواب: نعم، لقد كانت هذه الأهداف من ضمن رسالات الأنبياء جميعاً، ومن ضمن طموحاتهم، وكانوا يحملونها إلى أممهم وأقوامهم، ولقد جاهدوا كي تصل أقوامهم إلى هذه الأهداف، وعلى الأخص منهم أولوا العزم من الرسل، ولكن الذي جرى وحصل، أن هؤلاء الأقوام قد جابهوا أنبياءهم ورسلهم بالرفض، وواجهوهم بالتكذيب والسخرية، لأنهم لم يؤمنوا بهم ، ولم يصدقوا برسالاتهم، أو أن مصالح زعمائهم ومتنفذيهم قد حالت بين هؤلاء الأقوام ورسلهم، ومن آمن منهم آمن ببعض وشكك أو كفر بالبعض الآخر، وما آمن بهم إيماناً صحيحاً إلا القليل القليل، فما كان أمام هؤلاء الأنبياء إلا أن يبشروا بيوم الدين، ويوم الدين هو اليوم الذي يظهر فيه الإسلام على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون، وهو يوم ظهور الإمام المهدي المنتظر، وليس هو اليوم الآخر، يوم تقوم القيامة كما يتصور البعض، إن يوم الدين يختلف عن اليوم الآخر بحسب

التحقيق في ذلك، إن يوم ظهور الدين يكون في آخر الزمان، ويتحقق على يد خاتم الولاية الإلهية والخلافة الربانية، الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

## لماذا المهدي دون سواه؟

في الجواب على هذا السؤال، نقدم مجموعة من الأمور:

الأمر الأول: أن المهدي عليه السلام هو واسطة الفيض الإلهي.

فلقد صرحت بعض الروايات والأحاديث، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، (هم الوسائط في إيصال الفيوضات الإلهية إلى سائر المخلوقات، وإليه أشير في دعاء الندبة: "أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء؟")[1].

كل ما في هذا الوجود هو عبارة عن الفيض الإلهي، وهو إيجاد من الله وخلق منه، ولكي يصل هذا الفيض من المطلق إلى المحدود، لا بد من واسطة نظراً لعجز المحدود عن التلقي من المطلق، وهذه الواسطة لا بد أن يكون لها وجهان: وجه إلى جهة المطلق، بمعنى الوصول إلى مرتبة العبودية الخالصة، والتحلّي بكمال الصفات الإلهية، ووجه إلى جهة المحدود، وهو التنزل إلى المراتب البشرية، وهذا ما تشير إليه بعض الآيات، من مثل قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وما

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٧٦.

٢- سورة الكهف الآية ١١٠، سورة فصلت الآية ٦.

أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾[1].

وعلّة ذلك، تنـــزّه الذات الإلهية عن المجانسة والمشاكلة للمخلـــوقين من جهة، وعدم قدرة المخلوق المحدود على التلقي من الخالق المطلق مـــن جهة ثانية، ما لم تكن هناك واسطة تمتاز بصفتين:

الأولى- القدرة على التلقي من الله سبحانه وتعالى.

والثانية- القدرة على الإيصال إلى الخلق.

ولا يوجد من يتمتع بهاتين الصفتين سوى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذات، وأهل بيته عليهم السلام بالتبع، لأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الجوهر الأول، وهذا من خصائصه، (والجوهر الأول يقوم بأمرين: الأول أنه يقبل الفيض من الله، والثاني أنه يوصله إلى خلقه، وإذا قيل أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بأمرين، يستقبل الفيض من الله تعالى ويوصله إلى خلقه، فهو صحيح، لأنه الجوهر الأول)[2].

الأمر الثاني: المهدي عليه السلام هو مظهر الأسماء والصفات الإلهية.

فلله سبحانه وتعالى أسماء وصفات، و النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو مظهر هذه الأسماء والصفات الإلهية، وكذلك أهل البيت عليهم السلام، والإمام المهدي بهذا الاعتبار، يكون المظهر كذلك لهذه الأسمـــاء والصفات، فمن أسماء الله "القدير"، ومن صفاته "القدرة"، ومن أسمائـــه "الرحيم"، ومن صفاته "الرحمة" ... إلخ.

---

١- سورة الأنبياء الآية ٧.

٢- حقيقة الإمامة ص ١٢.

وعندما تسمع أمير المؤمنين الإمام علياً عليه السلام يقول: (أنا عين الله، وأنا جنب الله)، فهو بهذا اللحاظ لا يقصد التجسيم، وهو إمام الموحّدين، بل يقول ذلك، لأنه من أكمل وأكبر المظاهر لهذه الصفات والأسماء، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو لا يعني بالعين والجنب الجوارح والتجسيم، وإنما الآثار والمظاهر، وكما يقول الميرزا النائيني قدس سره: (وهذه المرتبة مختصة بهم عليهم السلام، وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم، لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية، ونفوسهم المقدّسة)[1].

عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام أنه قال: (إن الله أقدرَنا على ما نريد، فلو أردنا أن نسوق الأرض بأزمَّتها لسقناها)[2]، وقال مولانا الباقر عليه السلام لجابر: ( عليك بالبيان والمعاني ) فقال جابر: وما البيان والمعاني: قال عليه السلام: (أما البيان، فهو أن تعرف أن الله واحد، ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني، فنحن معانيه ونحن علمه)[3].

(عن أبي سعيد الخدري قال: بينما راعٍ يرعى بالحَرّة إذ عرض ذئب لشاة من شياهه، فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة، فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقي الله تعالى تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟

---

١- المظاهر الإلهية ج ١ ص ٣٧٨.

٢- المصدر السابق.

٣- كشف الحق ص ٥٦.

فقال الراعي: العجب من الذئب يتكلم بكلام الإنس!، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحرّتين، يحدّث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي غنمه حتى قدم المدينة، فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحدّث بحديث الذئب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صدق صدق، ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس، والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده)[1].

الأمر الثالث: المهدي هو مجمع كمالات الأنبياء والأوصياء.

ونقصد بذلك: أن جميع ما تمتع به الأنبياء من مراتب كمالية، يعطى للإمام مثلها، سواء المراتب العلمية أو الصفاتية أو الأخلاقية، أو ما كان منهم من معاجز وكرامات، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ( ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء، إلا ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها في يد قائمنا، لإتمام الحجة على الأعداء)[2].

ويدل عليه أيضاً، ما رواه المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام، في رواية المفضل رضي الله عنه، قال: (وسيدنا القائم مسندٌ ظهره إلى الكعبة، ويقول: يا معشر الخلائق، ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث، فها أنذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل، فها أنذا إبراهيم

---

١- الخصائص الكبرى ج٢ ص ٦١.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ٢٢٥.

وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع، فها أنـــذا موســـى ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فهـــا أنـــذا عيســـى وشمعون، ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، فها أنذا محمد وأمير المؤمنين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام، فها أنذا الحسن والحسين، ألا ومـــن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، فها أنذا الأئمة من ولد الحسين، أجيبوا إلى مسألتي، فإني أنبئكم بما نبّئتم به ومـــا لم تنبّـــأوا به)[1].

إن مهمة إيصال الموجودات إلى كمالها وغاياتها، لا تتم إلا بعـــد أن ينكشف البعد الغيـــبي لهذه الموجودات بالنسبة للإنسان، وعندما ينكشف هذا الحجاب، سيستطيع الإنسان أن يتعايش مع مفردات الكون ومراتبـــه العالية منها والسافلة، كما لو كان يتعايش مع بني جلدته ونوعه، فيحدّث هذه الموجودات وتحدّثه، ويخبرها وتخبره، ويُسِرُّ لها وتُسِرُّ إليه، بما في ذلك الحيوان والنبات والجماد.

جاء في الرواية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم الســـباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بمـــا أحدث أهله)[2].

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٥٤٧ ، مكيال المكارم ج١ ص ٢٢٥.

٢- ينابيع المودّة ج٣ ص٨٧.

وهذه الرواية ناظرة إلى: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض[1]﴾، وذلك يوم الظهور المهدوي.

لماذا يكون للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه هذا التأثير والـــدور دون غيره؟

إن ذلك عائد لعدة أمور:

١- لأن سعة وجود الإمام المهدي عليه السلام أكبر من سعة غيره، بما في ذلك الأنبياء، باستثناء جده رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم، ومن في حكمه من أهل البيت عليهم السلام.

٢- وصول عالم الإمكان- من الكائنات والموجودات-، إلى القابلية والاستعداد لتلقي هذا التغير الجذري، والانقلاب العظـــيم لكـــل عـــالم الإمكان.

٣- لأنه يملك من المفاتيح العلمية والمعرفية المعبر عنـــها في لســـان الروايات بـــ "الأحرف"، أكثر مما يملك غيره من الأنبياء، باستثناء جـــده صلى الله عليه وآله وسلم، ومن في حكمه من أهل البيت عليهم السلام.

ولا عجب ولا غرابة أن نسمع وأن نقرأ في بعض كتب المفكـــرين والمثقفين، أن الإنسان يسعى بقوة ويعمل جاهداً على أنسنة الطبيعة، أي إيصال الطبيعة إلى مرتبة قريبة من مرتبة الإنسانية، وهذا مما يؤكد صـــحة الروايات الواردة في هذا المضمار، ولكن الأمر الذي غاب عن ذهن هؤلاء المفكرين والمثقفين، أن هذا المستوى العالي من الرقي والحضارة والتقـــدم،

---

١- سورة إبراهيم الآية ٤٨.

لا يكون إلا بإيصال هذا الكون بما فيه، إلى كماله المنشود، الذي خلق من أجله، ولا يقدر على تحقيق هذا الدور العظيم، إلا من بيده مقاليد الكون، جامعة الكمال، وواسطة الفيض، ومظهر الأسماء والصفات الإلهية، وليس ذلك إلا لكمال الوجود، الإمام المهدي، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولا بأس أن أشير إلى هذه القصة لما فيها من فائدة:

( حكي أن إبراهيم بن أدهم قال: مررت براعي غنم فقلت له: هل عندك شربة من ماء أو من لبن؟ قال: نعم، أيهما أحب إليك؟ قلت: الماء، فضرب بعصاه حجراً صلداً لا صدع فيه، فانبجس الماء فإذا هو أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، فبقيت متعجباً، فقال الراعي: لا تتعجب، فإن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شيء)[1].

( ومن يشك في القائم المهدي الذي يبدل الأرض غير الأرض؟... إن القائم المهدي من نسل علي، أشبه الناس بعيسى بن مريم خَلْقاً وخُلُقاً وسيماءً وهيئة، يعطيه الله عزّ وجلّ ما أعطى الأنبياء، ويزيده ويفضله)[2].

وفي القرآن الكريم نماذج من الآيات، صريحة في دلالتها وواضحة في معناها، تطرح مسألة التعايش على نطاق الموجودات، وبناء العلاقة مع المخلوقات الأخرى.

من هذه النماذج القرآنية على سبيل المثال، قوله تعالى في قصة النبي سليمان عليه السلام: ﴿ وحُشِرَ لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير

---

١- مكيال المكارم ج ١ ص ٤٠٢.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٣٤.

فهم يوزَعون﴾[1]، و ﴿حتى إذا أتَوا على وادِ النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكاً من قولها وقال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، وتفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، فمكث غير بعيد، فقال: أحطت بما لم تُحِطْ به، وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين﴾[2].

وقبل هذه الآيات جاء قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داوود، وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير﴾[3].

ونستفيد من قصة النبي سليمان عليه السلام، أن الخلافة الإلهية إذا هي بسطت أجنحتها في الأرض، ودانت لها جميع الموجودات بالانقياد والاتّباع والطاعة والإيمان، تصل هذه الموجودات إلى هذه الرتبة الوجودية وتصعد إلى المستوى المطلوب منها، فيكون بينها التبادل والتحاور والتشاور، كما وقع ذلك في خلافة النبي سليمان عليه السلام.

ولعل البعض يقول: إن هذا الأمر كان مخصوصاً بالنبي سليمان ولا يجري لغيره، ونجيب أن الأمر ليس كذلك، وأنه لم يكن خاصاً بالنبي سليمان لشخصه وإنما لخلافته، لذلك أطاعه كل شيء، وسُخِّر له كل

---

١- سورة النمل الآية ١٧.

٢ سورة النمل الآيات ١٨-٢٢.

٣- سورة النمل الآية ١٦.

شيء في مملكته، بما في ذلك الريح، قال تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره﴾[1]، وقال: ﴿ولسليمان الريح غدوُّها شهر ورواحها شهر﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب﴾[3].

إذاً .. يستطيع الإنسان أن يسخّر له كل طاقات وموارد هذا الكون، ويكون سيّداً يأمر وينهى، ولكن ذلك كله مشروط بالعبودية لله سبحانه بكل حقائقها، ومن حقائق العبودية، الطاعة لمن أمرنا الله تعالى بطاعتهم ومحبتهم، لأنهم صفوة الخلق، وخير البشر، وهم: خاتم الأنبياء والرسل محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وآل بيته الكرام عليهم السلام، أما إذا ما عصى وتكبّر وتجبّر وكفر، فستنقلب كل هذه الطاقات والموارد إلى سلاح مدمِّرٍ، ومزمجرٍ في وجه الإنسان.

إن القرآن الكريم، كما ذكر آيات التسخير، ذكر كذلك آيات التدمير، ومن هذه الآيات:

﴿وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾[4]، ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾[5].

إن كل الإنجازات العظيمة، التي كانت للأنبياء جميعاً، من الانفتاح على جميع الموجودات من جنٍّ وطير ووحش وحيوان وحشرات، وتسخير

---

١- سورة الأنبياء الآية ٨.

٢- سورة سبأ الآية ١٢.

٣- سورة ص الآية ٣٦.

٤- سورة الذاريات الآية ٤١.

٥- سورة البقرة الآية ٥٠.

الرياح والبحار والجبال، لا تعدُّ إلا إنجازاً صغيراً وقليلاً، إذا مـــا قيســـت بإنجازات الخلافة المهدوية، لأن الإمام المهدي عجل الله فرجه، يأتي بجميع الحروف التي تمثل حقائق العلوم، ويُسخّر له ما لا يسخّر لغيره من القوى الغامضة والغيبية، كل ذلك لتحقيق الخلافة الإلهية، وبســـطها في أرجـــاء الوجود كله، من الملك إلى الملكوت، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب.

# الفصل الرابع

# المهدي والخلافة الإلهية

## ما معنى الخلافة؟

(استُخلِف فلانٌ من فلان: جعله مكانه)[1].

و (الخليفة: الذي يُستخلَف ممن قبله، والجمع خلائف)[2].

و (الخلافة: الإمارة)[3].

و (الخليفة: السلطان الأعظم)[4].

شكلت مسألة الخلافة مفصلاً هاماً في التاريخ الإسلامي، واعتبرت النقطة الجوهرية والأكثر حساسية، في إثارة الصراع والفتن بين الفرق الإسلامية، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد افترق المسلمون في مسألة من يخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما هي شروط الخليفة؟.

- هل هي بالنص كما يذهب الإمامية؟.
- أم هي بالشورى كما ذهب أهل السنة؟.
- هل يشترط فيها العصمة كما تقول الإمامية؟.
- أم لا تعتبر فيها العصمة كما يقول أهل السنة؟.
- هل يجوز تقديم المفضول مع وجود الفاضل كما ذهب المعتزلة؟.

---

١- لسان العرب ج ٩ ص ١٠١.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق ص ١٠٢.

٤- المصدر السابق.

وهكذا حلَّ الخلاف ووقع الافتراق، مع أن من أعظم أهداف الخلافة هي الاجتماع، ومن أهم غاياتها توحيد الأمة ورص الصفوف حول قيادة واحدة، وبهذا يكون المجتمع الإسلامي كله قلباً واحداً ونفساً واحدة.

وقد اختلف المسلمون أيضاً في مهام الخلافة وأهدافها ومسؤولياتها:

- فنظر البعض إلى الخلافة على أنها مسؤولة عن بيت المال، وإقامة الحدود، وأخذ الزكاة، وحرب المرتدين، وبسبب هذا التصور القاصر لمقام الخلافة جنَوا على الخلافة، وأنزلوها من حقيقتها العالية ومقامها الرفيع، إلى مستوىً لا يليق بها.

- وهناك من نظر إلى الخلافة على أنها الظل الإلهي بين الخلق، والمثال الرباني في الأرض والسماء.

**تصوران أساسيان لمقام الخلافة:**

التصور الأول: أن الخلافة شأن من شؤون البشر.

التصور الثاني: أنها شأن من الشؤون الإلهية، أي أوسع من كونها مسؤولة عن بيت المال وإقامة الحدود وغير ذلك، بل هي ظل الله في عالم الإمكان بكل مراتبه وتعيناته وحقائقه.

وهذان التصوران هما سبب الاختلاف الواقع بين الفرق الإسلامية، فالفريق الذي قال بالشورى وعدم العصمة وعدم الأعلمية، منطلق من التصور الأول، التصور الذي يعتبر الخلافة شأناً من شؤون البشر، والذي ذهب إلى شرط العصمة ووجوب النص والأعلمية والأفضلية، ذهب إلى التصور الثاني، وهو التصور الإلهي للخلافة.

وقبل الخوض في الخلافة الإلهية، أنقل هذا الحوار:

(قال أبو الحسن الرِّفا لابن رامين الفقيه: لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة، أما استخلف عليها أحداً؟ قال بلى استخلف علياً، قال: وكيف لم يقل لأهل المدينة اختاروا فإنكم لا تجتمعون على الضلال؟ قال: خاف عليهم الخلف والفتنة، قال: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته، قال: هذا أوثق، قال: أما استخلف أحداً بعد موته؟ قال: لا، قال: فموته أعظم من سفره، فكيف أمن على الأمة بعد موته ما خافه في سفره وهو حيٌّ عليهم؟ فقطعه)[1].

**ماذا تعني الخلافة الإلهية؟**

من خلال الآيات القرآنية، يمكننا أن نتعرف على بعض معاني الخلافة الإلهية، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾[3].

ماذا تعطي هذه الآيات؟:

إنها تعطي عدة قواعد مهمة:

١- أن الخلافة جعلٌ إلهي واختيارٌ رباني.

٢- أن الخلافة أعطيت للإنسان الكامل الأفضل الأعلم والأتقى مثل

---

١- بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٧٥.

٢- سورة البقرة الآية ٣٠.

٣- سورة ص الآية ٢٦.

الأنبياء.

٣- أن الخلافة من المظاهر الإلهية في الأرض.

٤- أن الخلافة مقام دون مقام الخالق وفوق مقام المخلوق.

٥- أنها مرتبة مقدّسة لا يتقمّصها إلا الأقدس، الـــذي لم يتـــدنّس بالشرك والكفر ولو طرفة عين.

ومن هنا، تعلم حجم الكارثة، والخطأ الفادح، الذي وقع فيه الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أطلقوا على من جاء بعد النبي بـــ"خليفة الله" و "خليفة رسول الله"، ودخل ضمن هـــذا الإطـــار الجميل، من لا يستحقون هذا المقام الرفيع، كخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس.

(إن لازمة الخلافة الإلهية هي في توفر الكمالات المستخلَفة في الإنسان الكامل، الذي هو خليفة الله باتّساع وجوده)[1]، ( ولذا فإن دائرة الخلافة الإلهية لا تنحصر بالأرض، بل تمتد لتشمل المخلوقات السماوية بالرغم من حضوره الجسماني في الأرض)[2].

إن مساوئ الخلافة البشرية على حسب التصور الأول، ليست بالأمر الخفي ولا المستور، بل هي من أوضح الواضحات لمن يقرأ تاريخ هـــؤلاء الخلفاء، وعلى الخصوص بني أمية وبني العباس، وقد أُخضع هؤلاء الخلفاء لامتحانات صعبة واختبارات حرجة من قبل اليهود والنصارى، باعتبـــار

---

١- الإمام الخميني قدس سره، ثورة العشق الإلهي ص ٣٣٤.

٢- المصدر السابق ص ٣٣٧.

وعي هاتين الطائفتين بالصفات المطلوبة، لخلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتجد أحبار هاتين الطائفتين عندما ينظرون إلى هؤلاء الخلفاء، لا يجدون فيهم الصفات المذكورة في كتبهم، والتي منها الصفات الجسمانية، فينفون كونهم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتراهم يسألون هذا الخليفة أو ذاك مسائل من الدين، فلا يجدون عندهم جواباً، وما ذلك إلا لأن الخلافة شأن من الشؤون الإلهية، وتحتاج إلى مقومات العلم والمعرفة والصفات النفسانية والمقامات النورانية، وهذا الخليفة المزعوم الذي أمامهم لا يمتلك أدنى مستوىً من تلك المقومات والصفات، فترجع هذه الوفود متعجبةً وهي تقول: هذا هو خليفة نبيكم؟ فيقول الناس: نعم، ولو قالوا هذا خليفة الناس، لما كانت هناك أي مشكلة من الأساس.

إن الخلافة الإلهية هي الحلقة التي تربط المخلوقين بالخالق، وتأخذهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وربح العالَمَين وتطابق الكونين، ( لأن الخلافة هي الاقتداء به تعالى- على الطاقة البشرية- في تحرّي الأفعال الإلهية)[1].

---

١ - الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩.

## الإمام المهدي والخلافة الإلهية

نريد أن نتحدّث عن التغيرات الجذرية والعظيمة، في خلافة الإمـــام المهدي عليه السلام، والتي سوف تدور حول محورين أساسيين وهما:

- التغيّر الآفاقي.
- التغيّر الأنفُسي.

### أولاً- التغيّر الآفاقي

وحديثنا عن التغير الآفاقي سيكون أيضاً في محورين:

أولهما: المحور الكوني، وهو المتمثل في التغيرات الفلكية، والحـــوادث الفضائية، وهذا النوع من التغيرات له أهميته في إحياء الأرض، وعمـــارة الكون وبناء الفضاء، كما ذهب إليه بعض المحققين.

وثانيهما: محور الطبيعة، وهو المتمثل بتغيرات الأرض بشكل خاص.

ولئن كانت للتغيرات الكونية تأثيرها المباشر على الأرض أيضاً، من حيث صلاحها وفسادها، إلا أنها تبقى حوادث وتغيرات خارجـــة عـــن الأرض فيما التغيرات الطبيعية متصلة بها بشكل مباشر، كالتغيرات المناخية والمائية والهوائية والزراعية والترابية .. إلخ، قال تعالى: ﴿ يوم تُبدّلُ الأرضُ غير الأرض﴾[1].

وتتم هذه التغيرات ضمن عملية تبديل كامل وشامل وعام، بحيـــث

---

١- سورة إبراهيم الآية ٤٨.

يقول الناس: هذه الأرض هي غير الأرض التي كنا نعرف، وذلـــك لأن الأرض سوف تلبس في خلافة المهدي ثوباً جديداً جميلاً ليس له مثيل ولا نظير.

وفي الواقع، فإن كل حدث من الأحداث العظيمة لا بد أن تصحبه تغيرات فلكية وفضائية وأرضية، مثل ولادة نبي من الأنبياء، أو نزول وحي من الله، وهناك دراسة قام بها بعض علماء الفلك، لدراسة بعض الظواهر الفلكية المصاحبة لبعض الأحداث الماضية، فعلى سبيل المثال، وفيما يتعلق بحادثة نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد (قـــام باحث- بمساعدة برامج الحواسب الآلية "الكمبيوتر"- باسترجاع حركة الأجرام السماوية في تلك الليلة، ليرى إن كانت هناك ظواهر فلكية مميّزة صاحبت فترة نزول الوحي على نبي الإسلام، واتّضح له فعـــلاً وجـــود بانوراما مدهشة في سماء مكة، قبيل فجر يوم ٢٣/٧/ ٦١٠م، الذي وافق يوم ٢٦ أو ٢٧ من شهر رمضان، وأهم مظاهر هذه البانوراما، اقتـــران الهلال لحظة مولده بالزُّهرة،- وهو حدث نادر جداً في تاريخ الفلـــك-، وكذلك ظهور الجوزاء- الذي يطلق العرب عليه اسم "الجبّار"- خارجـــاً من فلك الشمس، رمزاً للعظمة والقوة، يضاف إلى ذلك حدوث تركيبة نادرة لا يكاد يكون لها مثيل، بين أوضاع الشمس التي كانت متعامـــدة على كعبة مكّة والمرّيخ والشعرى والزُّهرة)[1].

وكذلك ستكون هناك تحولات كونية وفلكية واسعة، وقت ظهـــور

---

١- المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة ص ٤٧٨.

الإمام المهدي عليه السلام، منها:

- خسوف تام للقمر.
- وكسوف للشمس.
- وطلوع الشمس من المغرب.
- وريحٌ صفراء تدوم ثلاثة أيام.
- وخروج النجم المذنَّب.

وإن (هذه التحولات ضرورية لإحياء الأرض بعد موتها، وإن أرزاق العباد وخيرات الأرض وبركات السماء، مرتبطة علمياً بهذه التطـــورات، وخصوصاً بحركة الرياح، والشيء الآخر، أن قانون الاســـتخلاف يحـــتّم إحداث تغيّر جوهري في الطبيعة، والطور المهدوي هو في الواقع الطـــور الذي لأجله خلقت السماوات والأرض، ولذلك فإن أعظم تغيير تاريخي لطبيعة الأرض سوف يكون في بداية هذا الطور)[1].

على ضوء الروايات

١) عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (آيتان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر وكسوف الشمس لخمسة عشرة، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم إلى الأرض)[2]، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (تنكسف الشمس لخمس مضين من شهر رمضان قبل قيام القائم)[3].

---

١- الطور المهدوي ص ٢١٨- ٢١٩.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص٤٢٠.

٣- المصدر السابق ص ٤٢١.

٢) ذكر القائم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: (أنى يكون ذلك ولم يستدر الفلك، حتى يقال مات أو هلك، في أي وادٍ سلك)[١].

٣) قال أبو جعفر عليه السلام: ( لا يقوم القائم، إلا على خوف شديد من الناس، وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتيت في دينهم، وتغيير في حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساء، من عِظَم مايرى من كَلَب الناس وأكلهم بعضهم بعضاً)[٢].

**الشتاء الفضائي والشتاء النووي**

لقد توصل العلماء مؤخّراً إلى تفسير غياب الديناصورات عن سطح الأرض، فمنذ ملايين السنين كانت الديناصورات الجبارة تسيطر على الأرض ... وخلال فترة قصيرة نسبياً من عمر الأرض المديد اختفت معها كل النباتات الضخمة، ولدى دراسة الحفريات دراسة مستفيضة، لاحظ العلماء أن طبقة من التراب الناعم المتجانس، يبلغ سمكها ثلاثة سنتيمترات تغطي بقايا هذه الحيوانات الضخمة، وأن آخر الديناصورات اختفى بعدها.

وكان التفسير الذي توصل إليه العلماء أخيراً: أن الأرض قد تعرضت في تلك الفترة القديمة من تاريخها، إلى قصف متتابع من النيازك الهائلة على نطاق واسع، وأن هذا القصف قد أدى إلى تصاعد كميات

---

١- المصدر السابق ص ٤٣٥.

٢- المصدر السابق ص ٤٣٧.

كبيرة من الغبار إلى طبقات الجو العليا، وأن هذا الغبار قد حجب ضـــوء الشمس ودِفأها عن سطح الأرض فترة طويلة يصعب تحديدها، إلا أن هذا الحجب كان كافياً لحدوث شتاء بارد وطويل، ماتت خلاله مســـاحات ضخمة من الغابات ونباتاتها، ومن ثم قضى على الحيوانات التي تتغـــذى عليها، وفي فترة المجاعة الشاملة، يتم القضاء على الحيوانات الكبيرة الـــتي تحتاج إلى كميات كبيرة من الغذاء، كالديناصورات الـــتي غابـــت مـــن الوجود بسبب هذا الشتاء الفضائي، وقد ترسب الغبار تـــدريجياً بفعـــل جاذبية الأرض، وغطى بقايا الحيوانات والنباتات الميتة.

وهذا ما سوف يحصل إذا قامت الحرب النووية بين الدول، سيسيطر على الأرض شتاء شبيه بهذا الشتاء، ولكنه لن يكون شتاء فضـــائياً، بـــل سيكون شتاء نووياً، وستغمر الأرضَ الرياحُ، وعواصفُ رملية ورعديـــة وثلجية هائلة، إن الشتاء النووي الذي يمكن أن ينتج، سيماثل في شـــدته وطوله الشتاء الفضائي، الذي يمكن أن ينتج عن استخدام ثلث الاحتياطي العالمي من الأسلحة النووية[1].

على ضوء الروايات

١)- (عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه الســـلام يقول: قدام القائم عليه السلام موتان، موتٌ أحمر وموتٌ أبـــيض، حـــتى يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف، والمـــوت الأبـــيض

---

١- المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة ص ٦٠٧- ٦٠٩.

الطاعون)[1].

٢)- (عن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقيل له: فإذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي؟)[2].

٣)- (عن البيزنطي عن الرضا عليه السلام أنه قال: قدام هذا الأمر قتلٌ بيوحٌ، قلت: وما البيوح؟ قال: دائمٌ لا يفتر)[3].

**ثانياً- التغير الأنفسي**

بين الكون والنفس علاقة غامضة، لم تتضح بعد بالنسبة للباحثين في هذا المجال، وكل ما في الأمر أنه تم اكتشاف، أن هناك نوعاً من الارتباط بين هذين العالمين، العالَم الأنفسي والعالَم الكوني بكلا شِقّيه، العلوي بما يحوي من كواكب وأفلاك ومجرّات ونجوم، والسفلي- الطبيعة- بما يحويه من بحار وأنهار وهواء وماء وأشجار وثمار.

فما هي العلاقة بين الكون والنفس؟ ولماذا يتوقف صلاح الكون على صلاح النفس؟، من الممكن أن هذه العلاقة نظير علاقة النفس بالجسد، والتأثير بين الجانبين واضح، أو نظير علاقة الكهرباء بالمصباح، ولا بد أن يتأمل الإنسان وأن يفكر في متانة هذا الرابط العجيب والمدهش والمحير.

---

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٢٠.

٢- المصدر السابق ص ٤٢١.

٣- المصدر السابق ص ٤٠٤.

ما هو سر ارتباط الكون بالنفس؟ هذا هو السؤال الذي حيّر العلماء قديماً وحديثاً.

ولقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى هذه العلاقة، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[2].

وكذلك فقد أشار النبي نوح عليه السلام إلى هذه العلاقة فيما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموالٍ وبنين، ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً﴾[3].

نستنتج من هذه الآيات الكريمة، أن البشرية لم تصل إلى هذا الوضع الخانق على جميع الأصعدة والمجالات، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذا الفساد في الكون- الآفاق والأرض "الطبيعة"-، إلا من جهة مرض النفوس، إلا أن هذا المرض سيزول وينتهي في دولة الإمام المهدي عليه السلام وخلافته، وستشفى جميع النفوس من عللها وأمراضها، وتصفو من ظلمتها وكدرتها.

ومن انعكاسات هذا الشفاء، ما سيجري من التغير الظاهري، و ما

---

١- سورة فصلت الآية ٥٣.

٢- سورة الأنفال الآية ٥٣.

٣- سورة نوح الآيات ١٠-١٢.

سيطرأ على الحواس والقوى، والطاقات والقدرات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ( وتزول كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة، فيتوجهون لنصرته، تطوى لهم الأرض، ويذلّل لهم كل صعب)[1].

وعن حكيم بن سعيد قال: ( سمعت عليا عليه السلام يقول: إن أصحاب القائم شباب لا كهل فيهم، إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وأقل الزاد الملح)[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: ( إنه لو كان ذلك، أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذفتم بها الجبال فلقتها)[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: ( إن قائمنا إذا قام، مَدَّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه)[4].

ومن المحتمل أن يقلل البعض من أهمية هذا الأمر، أو يصغّر من شأن هذا الدور- الدور النفسي- وتأثيره في صفة الصلاح، بالنسبة إلى الذات وعملية الإصلاح الاجتماعي، ولكن الدراسات العلمية الحديثة أثبتت بما

---

١- المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة ص ٦٦٤.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٥٠٤.

٣- مكيال المكارم ج١ ص ٢٠٣.

٤- مكيال المكارم ج١ ص ٢٠٣.

لا يدع طريقاً للشك، وذلك من خلال الطب النفسي، أن أكثر الأمراض التي تصيب البشر، أصلها أمراض من النفس، الأمراض النفسية، والأسباب المتعلقة بالنفس.

وهذا يؤثر بدوره ليس فقط على المحيط القريب، ويغيّره إلى الأسوأ، مثل التغيّر الذاتي أو الأسري أو الاجتماعي، بل يؤثر حتى في الكون بما فيه، وعلى رأس الأمراض النفسية مرض الخوف، ومرض الشك، ومرض الظن ... والحسد والحقد والأنانية.

(وكلما كانت القيم غريزية، ومعاندة لمنطق الكون وأمور الوجود، ومخالفة للشريعة، ومصرّة على بتر العلاقة الكونية بالاعتبار الميثاقي، كلما برز نوع خطير من الفساد والانحراف والباطل الميثاقي والسلوكي)[1].

وسوف تتغير كل هذه الظواهر السلبية والمظلمة، وتشهد الأرض والسماء خلافة إلهية، يتحقق فيها الانسجام والتناغم، مع كل مفردات الوجود، و بذلك يسود الصلح جميع أنواع الموجودات في خلافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

ويتحقق هذا التغيّر، إذا ما أدرك الإنسان أهدافه الوجودية المتعالية، وغاياته السامية والعظيمة، عندها فقط ينكشف له هذا التناغم الفريد بين النفس والكون، والرابطة المتينة بين الآفاق الأنفسية والكونية، وعندها يكون هذا الإدراك هو أولى خطوات التصحيح والتغير، (هذا التغير الذي يشمل مجاري الأنهار، أنواع الثمار، المناخ بصفة عامة، انتهاء الأمراض

---

١ - ما قبل نهاية التاريخ ص ٢٤٣.

والأسقام والعلل، غياب الآفات الزراعيـــة، تغيّـــر جـــذري في طبيعـــة الكائنات، بما في ذلك الوحوش، موت الهوام الضارّة، والحشرات الفاتكة بالمزروعات، خروج كنوز الأرض، طول مدهش للأعمـــار، ينتـــهي في أواخر الطور المهدوي، لأن قوانين الطبيعة تتغيّر بصورة شاملة)[1].

## ما هي آليات التغيّر النفسي؟

إن آليات هذا التغير النفسي، ستكون عن طريق إيصال النفوس إلى مقامين عاليين، هما:

المقام الأول: التسليم المطلق لله سبحانه

ومظاهر هذا التسليم، هو القبول الكامل والتام لكل مفردات الشرع من أمر ونهي، والقيام بجميع الواجبات والطاعات، من دون أن يكون في النفوس شك ولا ريب، بل يملؤها الاطمئنان، وتغمرها الراحة، ويقودهـــا التسليم.

المقام الثاني: الوصول إلى سعة النفس

أي السعة الوجودية الأنفسية، فإذا قطع الإنسان الأمر الأول، وهـــو التسليم، وصل إلى مقام السعة الأنفسية، ومن هذه السعة تتقبل الـــنفس جميع التكاليف والأحكام الشرعية والدينية والعبودية، وهذا هـــو مقـــام الكمال أو التكميل.

(عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إذا قام قائمنا وضع يده علـــى

---

١- الطور المهدوي ص ٤٣٦.

رؤوس العباد، فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم)[1].

ووضع اليد كناية عن بسط السيطرة والتمكن من الأمر:

( وحقيقة الطاعة: تطبيق العبد أعماله على أوامر المولى من حيث أنه مولى)[2]، وحقيقة العبودية: كون العبد بتمام لواحقه، ملكاً خالصاً لله تعالى)[3].

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٥٠٦.

٢- شرح الأسماء الحسنى ص ١٢٧.

٣- المصدر السابق ص ١٣٠.

# الفصل الخامس

# الإمام المهدي
# والمقامات الثلاثة

## مقامات أهل البيت (ع)

يلمس القارئ لسيرة أهل البيت عليهم السلام، والمطّلع على تاريخهم الشريف، أن ذواتهم النورية امتزجت بها كل الصفات الكمالية، وعجنت بالأسماء الجمالية والحسنى، لأنهم أسماء الله ومظاهر صفاته، وقد (ورد عن المعصومين عليهم السلام: نحن الأسماء الحسنى، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا اسم أعظم مني، أنا اسم الله الأعظم)[1].

ومن هذا الجانب، تجدهم قد تميّزوا بالألقاب الكاشفة عن مقاماتهم الكمالية، وأصبحت هذه الألقاب بالنسبة لهم، من الشهرة كأنها نار على علم، يُعرَفون بها ويخاطَبون بها.

وقد خفيت أسرار بعض هذه الألقاب عن الكثير من الناس، الخواصّ منهم والعوامّ على حدٍّ سواء، ممن اكتفوا بالنظر السطحي، وحاموا حول ظواهر الروايات والأحاديث، ولم يكلّفوا أنفسهم عناء التفكير والتأمل، أو الصبر على سعة المطالعة والقراءة والبحث.

ونسوق على سبيل المثال لا الحصر، المقامات والأحوال التالية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام:

- الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، له المقام المحمود، فما حقيقة هذا المقام؟.

---

١- التكوين والتجلّي ص ٥٤.

- الإمام علي عليه السلام: له مقام الولاية، ولا يمكننا أن نعرف الإمام إلا من خلال مقام الولاية.

- الإمام الحسن عليه السلام: له مقام أنه الزكي، وكريم أهل البيت.

- الإمام الحسين عليه السلام: له مقام أنه سيد الشهداء، ووارث الأنبياء.

- فاطمة الزهراء عليها السلام، سيدة الأكوان والعالمين بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد بعلها أمير المؤمنين عليه السلام، مقامها "أم أبيها"، فماذا يعني هذا المقام؟، إنه مقام له من الشموخ والرفعة والعلوّ ما تحتار فيه العقول، وتنحسر عن فهمه الألباب، وهناك مقام آخر يعتبر من أعمق مقاماتها عليها السلام، وهو المقام الذي عبّرت عنه رواية (ولولا فاطمة لما خلقتكما)، بل إن معنى مقام (أم أبيها) لا يدرَك إلا من خلال هذا المقام.

- وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام، فكل ألقابهم تنطوي على أسرار وحقائق، مثل السجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري.

ولأجل هذا، اجتهد أعداؤهم في إخفاء هذه المقامات، والتلبّس بها، وغاب عن هؤلاء أن هذه الألقاب ليست جوفاء أو فارغة من المحتوى، بل هي حقائق من حقائقهم، وأسرار من أسرارهم، ومقامات من مقاماتهم النورية، وقد اجتهد العباسيون أكثر من غيرهم، في إخفاء هذه الحقائق والأسرار والمقامات، وذلك بإعطاء أنفسهم ألقاباً نورانية، وهم — في

ذواتهم المظلمة- بعيدون عن حقيقة هذه الألقاب بعد المشرق عن المغرب، وبعد الوجود عن العدم، مثل المنصور والرشيد والمهدي والمتوكل والمأمون والأمين والمعتز والمعتمد ... إلخ.

## المقامات المهدوية

ما هي المقامات التي أعطيت للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه؟.

قبل التطرق إلى مسالة المقامات، نأتي أولاً لبيان بعض أسرار الألقاب المقدّسة وذاته النورية، من هذه الألقاب ثلاثة:

١)- المهدي: سمي بذلك كما جاء في الأخبار، لأنه يهدى إلى "أمرٍ خفيٍّ، وفي بعضها إلى "أمرٍ مضلولٍ عنه"، وهذا الأمر الخفي أو المضلول عنه، هي حقائق الدين والقرآن الكريم، بل جاء في الأخبار أنه يأتي بدين جديد وقرآن جديد، على العرب شديد، وجاء في بعض الروايات: (بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)، أي سيعود بالمهدي، وذلك بعد أن ينكفئ الدين من القلوب والنفوس، وتكون هناك وحشة بين النفوس والدين.

٢)- القائم: (روي أنه عليه السلام سمّي القائم لأنه سيقوم بالحق)[1]، ويعتبر القيام والوقوف عند ذكر اسمه، تعظيماً له واحتراماً بدافع العشق له والمحبة من جهة، ومن باب إظهار الاستعداد والجهوزية للقيام معه متى ما قام عليه السلام، يقول الشيخ عباس القمّي قدس سره: (الوقوف تعظيماً لدى سماع اسمه عليه السلام، وخاصة إذا ذكر الاسم المبارك القائم، كما استقرت عليه سيرة أبناء الطائفة الإمامية، ... وهذا يكشف بحد ذاته عن

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٥٦٥.

وجود أصل وأساس لهذا العمل، وقد سُمِع من العديد من العلماء، وأهل الاطلاع، أنهم رأوا خبراً في هذا الباب، نقله بعض العلماء، وهو أن العالم المتبحر الجليل السيد عبد الله، سبط المحدّث الجزائري، سئل عن هذا الأمر، وأنه أجاب عنه في بعض تصانيفه، جواباً يفيد أنه رأى خبراً مضمونه أن الاسم المبارك، ذكر يوماً في مجلس الإمام الصادق عليه السلام، فوقف احتراماً له وتعظيماً، وروي أنه لما كان دعبل الخزاعي ينشد قصيدته التائية للإمام الرضا عليه السلام، ووصل إلى هذا البيت:

خروج إمامٍ لا محالة خارجٌ  يقوم على اسم الله والبركات

وقف الإمام الرضا عليه السلام على قدميه وأحنى رأسه الشريف إلى الأرض، بعد أن وضع كفّه اليمنى على رأسه، وقال: اللهم عجّل فرجه ومخرجه، وانصرنا به نصراً عزيزاً)[1].

وللإمام المهدي عليه السلام مقامات عظيمة، تعتبر من خصوصياته المقدّسة، من أهمها: صاحب الزمان، صاحب العصر، صاحب الأمر.

وسنشرع ببسط الكلام في معاني هذه المقامات التي يختص بها الإمام، وألفت نظر القارئ قبل ذلك، إلى أن هذه المقامات والألقاب، تعبّر عن رتبٍ وجودية، أي أن "صاحب الزمان" رتبة وجودية للإمام عليه السلام، و"صاحب العصر" رتبة أخرى تعطي معنى آخر غير معنى صاحب الزمان، وكذلك صاحب الأمر، وهكذا.

كما ألفت نظر القارئ من جانب آخر، إلى أن هذه الإطلاقات من

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٦٤٨.

الألقاب، جاءت على لسان المعصومين، من الرسول صلى الله عليه وآلـــه وسلم، ومن أهل بيته الأطهار عليهم السلام، مما يجعل لها أكبر الأهمية في عمق معانيها وعظيم حقائقها.

## أولاً– مقام "صاحب الزمان"

ما معنى "صاحب الزمان"؟.

نحن أمام هذا المقام، نجد أنفسنا أمام مفردتين، لا بد من تفكيكهما وتحليل كل مفردة منهما على حدة:

المفردة الأولى: "صاحب".

والصاحب: المعاشر، وأصحبَ الرجل، واصطحبه: حفظه، يُصحِبُ: يمنع ويحفظ[1].

( قال المعجم: الصاحب: القائم على الشيء، والصـــاحب: مالـــك الشيء، ولذلك تظهر العداوة بين الأصحاب، لأن غاية الصاحب امتلاك صاحبه، والقيام عليه بالأمر والنهي)[2].

المفردة الثانية: "الزمان".

(للناس في الزمان قولان: الأول: قول من أنكر وجوده، والثاني: قول من أثبت وجوده)[3].

(ذهب أرسطو طاليس، وارتضاه الفارابي وابن سينا، إلى أنه مقـــدار

---

١– لسان العرب ج١ ص ٦٠٣– ٦٠٥.

١– الطور المهدوي ص ٣٠٢.

٢– المطالب العالية من العلم الإلهي ج٥ ص ٩.

حركة الفلك الأعظم، وقال الشيخ أبو البركات البغدادي: إنه مقدار امتداد الوجود، وقال آخرون: إنه عبارة عن نفس حركة الفلك الأعظم، وقال آخرون: إنه لا معنى للزمان إلا مجرد التوقيت)[1].

و يتضح مما سبق، أنه قد وقع الاختلاف في الزمان، ولكن المعنى المتداول له أنه حركة الأفلاك، سواء كانت حركة الأرض حول نفسها بما يحدث عن ذلك من الليل والنهار، أم حركة الأرض حول الشمس، وما ينجم عن ذلك من الفصول الأربعة.

فإذا كان الصاحب هو القائم على الشيء والمالك له، فمعنى صاحب الزمان إذاً، هو القائم على الزمان والمالك له، وعلى هذا المعنى، فإننا إذا فسرنا الزمان بأبسط الأقوال، وهو أنه حركة الأفلاك، وهذه تتبع حركتها لحركة الفلك الأعظم، الذي هو كما (يقول علماء الفلك: إنه في الوقت الذي يتلفظ فيه الإنسان بكلمة واحدة، فإن الفلك الأعظم يكون قد قطع ١٧٣٢ فرسخاً، ويقول المتشرعة أن المَلَك يقطع في أقل من لمح البصر ألف سنة ...)[2].

إذا علمنا كل ذلك نقول: إن صاحب الزمان هو مالك الزمان، أي مالك حركة الأفلاك، بل هو القائم على حركة الفلك الأعظم فلا تتحرك الأفلاك إلا بأمره وإرادته، الذي هو أمر الله وإرادته.

والزمان ليس مرتبة واحدة، بل هو مراتب متعددة بتعدد المراتب

---

١- المصدر السابق ج٥ ص ٥١، وفيه مزيد بيان لمن أراد التوسع في الموضوع.

٢- حقيقة الإمامة ص٨٧.

الوجودية للموجودات، وهذا يعني أن زمان الحجر غيره في النبات، وهو غيره في الحيوان، وهو غيره في الإنسان، وهو غيره في الملك، بل يتعدد الزمان كذلك حتى بالنسبة للحقيقة الإنسانية الواحدة، وذلك تبعاً لتعدد المراتب أو الحقائق في الإنسان.

يقول الدكتور مصطفى محمود: (لا شيء يبعث على الحيرة أكثر من هذه الكلمة المبهمة الغامضة "الزمان"، ما هو الزمان؟ هناك زمان نتداوله في معاملاتنا، ونعبر عنه بالساعة واليوم والشهر، وهناك زمان نفساني داخلي يشعر به كل منا في دخيلة نفسه، الزمان الخارجي الذي نتداوله، زمان مشترك نتحرك فيه كما يتحرك غيرنا، نحن مجرد حادثة من ملايين الحوادث ... وأما الزمان الداخلي فهو زمن خاص لا يقبل القياس، لأنه لا مرجع له سوى صاحبه، وصاحبه يختلف في تقديره، فهو يشعر به شعوراً غير متجانس، لا توجد لحظة فيه تساوي اللحظة الأخرى، وهو زمن متصل في ديمومة شعورية، وكأنه حضور أبدي، الماضي يوجد كذكرى في الحاضر، والمستقبل يولد كتطلّع وتشوّف في الحاضر، هذا الزمن الذاتي النفسي، غير الزمن الخارجي الموضوعي، الذي هو زمن له معادل موضوعي في نور النهار وانحراف الظل وظلمة الليل وحركات النجوم، وهو الزمن الذي نتفاهم من خلاله، ونتعامل به)[1].

وإن اختلاف الزمان بالنسبة إلى الأشياء تابع لحقائقها، فكلما كان الشيء أو الموجود أقرب إلى مرتبة اللطافة، كان زمانه كذلك، فزمان

---

١ – إينشتاين والنسبية ص ٣٥.

الموجودات التي هي في مرتبة الطبيعة وعوارضها وغواشيها، زمان كثيف وثقيل، ولكن زمان عالم المثال ألطف وأخف، فزمان المجرَّدات- إذا صح الإطلاق- يختلف.

يقول أحد علماء القطيف: (فعلى هذا يكون الزمان كلما عَلا لَطُفَ واتسعت دائرته، وطالت ساعاته ولياليه وأيامه، وشهوره وأعوامه، حتى ينتهي إلى سطحه، وتكون نسبته بجميع محوِّياته إلى ما فوقه، كنسبة النقطة الصغيرة في وسط الدائرة الكبيرة)[1].

ويقول في موقع آخر: (والزمان- في نفسه- حادث ووعاء لمحوِّياته، وشاهد ومشهود، وهو- من حيث هو ممكن مشخَّص- وإن كان ظاهر الإنّية، فهو خفي الماهية)[2].

ونأتي إلى عالم آخر، لكي يوضح لنا هذه التقسيمات، وهو العارف الرباني القاضي سعيد القمي رضي الله عنه، يقول: ( اعلم أن الزمان على طبقات ثلاث:

الأولى: الزمان الكثيف، وهو زمان الكائنات المادية، ومنه الحركات الحسية.

الثانية: الزمان اللطيف، وهو مدة حركات الروحانيات المدبِّرة للعالم الجسماني، المحركة للمواد بالتسخير السلطاني، ومنها:

- حركة الملائكة بالوحي والإلهام والنصرة والانتقام.

---

١- التراث ج٢ شرح دعاء التحميد ص ٨٧.

٢- المصدر السابق ص ٨٥.

- وكذا حركات الجن والأرواح المتعلقة بالأجسام.
- وظهور معجزات الأنبياء والأولياء.

وعليه خرج قوله تعالى: ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾[1].

الثالثة: الزمان الألطف، وهو زمان الأرواح العالية والأنوار المقدّسة، وعليه قوله عزّ شأنه: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[2]، وفيه تمام الدنيا والآخرة.

ولعله إلى هذه المراتب أشار ما في اصطلاح الحكمة القديمة، من أن نسبة المتغير إلى المتغير زمان، وإلى الثابت دهر، ونسبة الثابت إلى مثله سرمد)[3].

وهذا يؤكد ويدعم ما قلناه، من أن الزمان يختلف باختلاف مراتب الحقائق والكائنات، فالكائنات كلما كانت أقرب إلى الكثافة، وإلى عالم الكثرات، كان زمانها كذلك، والحقائق إذا كانت أقرب إلى اللطافة، كان زمانها يتمتع بنفس هذه الخصوصية، والحقائق الصرفة المجردة، زمانها من نفس عالمها وتكوّنها.

ويختلف الزمان بالنسبة إلى المدارس المختلفة، فالمدارس أو التوجهات والمشارب المتنوعة، أعطت الزمان تفسيراً يتناسب مع مشربها، فمشرب

---

١- سورة السجدة الآية ٥.

٢- سورة المعارج الآية ٤.

٣- شرح توحيد الصدوق ج١ ص ١٥٢.

العلم الفلكي غير مشرب العلم الفلسفي، وهو غير المشرب العرفاني.

ويتحدد صلاح الزمان وفساده بصلاح أهله وفسادهم، فالزمان الصالح والحسن، عبارة عن صورة حسن الأفعال والأقوال، وفساد الزمان يعود لفساد أهله، إذاً إذا صلحت الأعمال صلح الزمان، وإذا هي فسدت فسد.

الإمام المهدي عليه السلام، هو صاحب الزمان بجميع مراتبه وأقسامه وأنواعه، وهو المحيط به، والمجري له.

## مظاهر قدرة المهدي على الزمان

ما هي مظاهر القدرة على الزمان في خلافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟

في الجواب على هذا السؤال سنتحدث عن نقطتين:

### الأولى: التصرف بالزمان طياً ونشراً

أو بتعبير آخر قبضاً وبسطاً، أي يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه القابض والباسط للزمان بإذن الله تعالى، والقابض والباسط هي من الأسماء الإلهية، ومن يتحقق بصفات الله ويتجلّى بأسمائه، يتصرف في الأشياء بما يرضي الله تعالى، والزمان شيء من الأشياء، إذاً يتصرف به قبضاً وبسطاً، طيّاً ونشراً.

(صاحب الزمان، وصاحب الوقت والحال، هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى، والمطّلع على حقائق الأشياء، الخارج عن حكم الزمان، وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن الدائم، فهو ظرف أحواله وصفاته

وأفعاله، فلذلك يتصرف بالزمان بالطي والنشر، وفي المكـــان بالبســـط والقبض، لأنه المتحقق بالحقائق، فإن المتحقق بالحق، المتصرف بالحقـــائق، يفعل ما يفعل في طور وراء طور الحس والوهم والعقل، ويتســـلط علـــى العوارض بالتغيير والتبديل)[1].

وفي القرآن الكريم أمثلة على هذا الأمر، ففيه مثال عن القبض، وفيه مثال عن القبض والبسط معاً، فالمثال الذي عن القبض فقط، متمثـــل في قصة أصحاب الكهف، حيث يقول عزّ وجلّ في شـــأنهم: ﴿ولبثـــوا في كهفهم ثلاث مائةٍ سنين وازدادوا تسعاً﴾[2]، ويقول في آية قبلها: ﴿قـــال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾[3]، وقولهم: "يومـــاً أو بعض يوم"، مبني على عدم التغير الظاهر والواضح في الأجساد والأبدان، ولكن عندما ذهب أحدهم ليشتري طعاماً، لاحظ التغيرات الخارجة عن الكهف.

وهناك مثال آخر في القرآن الكريم يمثل الجانبين معاً، جانب القبض وجانب البسط، وذلك في قصة عزير وحماره وطعامه في سورة البقرة، إذ يقول تعالى: ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عامٍ ثم بعثه، قال كم لبثتَ، قـــال لبثتُ يوماً أو بعض يوم قال بل لبثتَ مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك

---

١- كشاف اصطلاحات الفنون ج٣ ص ٤.

٢- سورة الكهف الآية ٢٥.

٣- سورة الكهف الآية ١٩.

لم يتسنّه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف نُنشزها ثم نكسوها لحماً﴾[1].

( وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالموت، الحال المسمّى عند الأطباء بالسُّبات، وهو أن يفقد الموجود الحي الحس والشعور- مع بقاء أصل الحياة- مدة من الزمان، أياماً أو شهوراً أو سنين، كما أنه الظاهر من قصة أصحاب الكهف ورقودهم ثلاثمائة وتسع سنين)[2].

وحتى يكون الأمر واضحاً دون أي لبسٍ، أو تأويلاتٍ بعيدةٍ عن الحقيقة، تحوّل الحمار إلى عظام بالية، أي بُسط عليه الزمان، بينما الطعام لم يتغير، أي قُبض عنه الزمان، ( فحال الحمار يدل على طول المكث، وحال الطعام والشراب يدل على إمكان أن يبقى طول هذه المدة على حال واحد، من غير أن يتغير شيءٌ من هيئته)[3].

ويمكن للبعض أن يصنف هذه الحقيقة القرآنية، على أنها أقرب إلى المثال العلمي منه إلى الحقيقة والواقع، وهؤلاء معذورون، لعدم اطّلاعهم حتى على الروايات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها:

- ( لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا تروها، ولا

---

١- سورة البقرة الآية ٢٥٩.

٢- الميزان في تفسير القرآن ج٢ ص ٣٦٥.

٣- المصدر السابق ص ٣٦٨.

تحدثون بها أنفسكم)[1]،

- (إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق، ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق)[2].

وربما هذه الرواية ناظرة إلى أبعد مما يعتقده البعض من أنها تشير إلى أدوات الاتصال الحديث، مثل التلفزيون والتلفون والإنترنت وغيرها، وذلك لأننا نرى تداول هذه الأجهزة واستخدامها، سواء في ذلك المؤمن وغير المؤمن، وسياق الرواية يخص المؤمن بهذا الأمر، وهذا يحتاج إلى مزيد من التأمل العميق في مدلولها، والوصول إلى مصداقها.

- وهناك رواية أخرى: ( عن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قام قائمنا مدَّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه)[3].

ومن المحتمل جداً أن هذه الروايات تشير إلى قوة التخاطر بين الإمام وأصحابه وأتباعه، (والتخاطر هو اتصال فكري بين عقل وعقل، أو عقول أخرى دون واسطة الحواس، وهو لا يقتصر على الفكر، بل يتعداه ليشمل جميع العواطف والمشاعر، فالمسافة بين المشرق والمغرب ليست حاجزاً يمنع اتصال معلومات وأفكار تعاطفية بطريقة ما، والتخاطر يحتاج إلى مرسل،

---

١- المهدي المنتظر ص ٤٨٦.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ٢٣، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٣- بحار الأنوار ج٢١ ص ٥٠٦.

وهو الشخص، ورسالة وهي الأفكار، ومستلم الرسالة وهو العقل الآخر، وتبقى حلقة أخرى، وهي حامل الرسالة، وهو شبيه بحقل نفسي لسنا نحصّله، وتتجاذبنا علائق الأجساد والأجسام)[1].

ومما يختص به الزمان في خلافة خاتم الإمامة والولاية المهدي عجل الله فرجه، طول الأعمار والسنوات، وهذا تابع لبطئ الحركة الفلكية من جهة، وانبساط العدل وانقباض الجور، ونشر الحق وطي الباطل، من جهة ثانية، (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ويأمر الله الفلك في زمانه فيبطئ في دورانه، حتى يكون اليوم من أيامه كعشرة أيام والشهر كعشرة أشهر، والسنة كعشر سنين من سنيّكم)[2].

( وفي كتاب أعلام الورى: ذكر الخثعمي أن الصادق عليه السلام، أخبره بطول الأيام والليالي في دولة القائم عليه السلام، قلت له: جعلتُ فداك، وكيف تطول السنون؟ قال: يأمر الله الفلك باللبوث وقلة الحركة، فتطول الأيام لذلك والسنون)[3].

و (روى الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله عزّ وجلّ جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدةً من الليالي والأيام، والسنين والشهور، فإن عدلوا في الناس، أمر الله عزّ وجلّ صاحب الفلك، فأبطأ بإدارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن جاروا في الناس

---

١- الإسراء والمعراج- رموز ودراسة تحليلية ص ٧٤.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ٣٧٢.

٣- الطور المهدوي ص ٢٣٢.

ولم يعدلوا أمر الله تعالى صاحب الفلك فأسرع في إدارته، فقصرت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وقد وفى الله بعدد الليالي والشهور)[1].

(وقد ورد في الأخبار المستفيضة، أن أيام دولة المهدي عليه السلام، تكون كل سنة تعادل سبع سنين، فقيل له: يا بن رسول الله، إن الفلك لا يزول عن حركته هذه، ولو زال لفسد، فقال عليه السلام: هـذا قـول الزنادقة والمنجمين)[2].

(وقد اتضح أن هناك شيئاً يسمّى "الزمن البيولوجي"- أي المختص بعلم الأحياء، ويبدو أن الزمن يسير في بطء بالنسبة للأطفال، على حـين يسير بسرعة فائقة بالنسبة لكبار السن، وهذه الظاهرة المعروفة، قد وُجد أنها قائمة على دورة الحياة التي للخلايا، وقد يمكن التعبير عن ذلك بأبسط طريقة، بالقول بأن خلايا كل مخلوق حي تتطور سريعاً عند بدء الحياة، ثم تبطئ عند اقتراب نهايتها، وإذا تكلمنا عن ذلك من الوجهة البيولوجيـة، قلنا: إن كثرة حوادث الخلايا التي تحدث في الطفولة، تشعر الطفل بطول الزمن، في حين أن بطء نشاط الخلايا في الكبر، تشعر الإنسان بأن الزمن يمر سريعاً، ويبدو أن دورات الحياة لا علاقة لها بالزمن المطلق الذي نقيسه بحركات الأجرام السماوية)[3].

ولكي نختم هذه النقطة نقول باختصار: إن الإمام المهدي عجل الله

---

١- رسائل آل طوق ج٣ ص ٩٣.

٢- المصدر السابق ص ٩٤.

٣- العلم يدعو للإيمان ص ١٦٨.

فرجه وسهل مخرجه، سيعلّم الخلائق والموجودات فلسفة الزمان، ويضع في أيديهم وإمكاناتهم مفاتيحه وكيفية استخدامه في خلافته استخداماً حقيقياً كاملاً ومثمراً، ويعلّم المؤمن كيف يتصرف بالزمان كما يتصرف بالمكان والمادة والطاقة.

كما وعلينا أن ندرك، أن للزمان حقائق غيبيةً، كغيره من الحقـــائق والموجودات، وله تنـــزُّلاتٌ في الوجود حتى وصل إلى هذه الصورة، التي هو عليها الآن، من ساعة ويوم وشهر وسنوات، ( إن الأيام كغيرها مـــن جميع الأشياء، لها أصول وحقائق في عالم الغيب، ولها تنـــزُّلاتٌ في الإيجاد والتكوين، إلى أن كانت كما هي عندنا، وربما كان لها تنـــزُّلاتٌ أبعد مما عندنا، فأيامنا هذه زمانية يتأتى وجودها من دورة كوكبنا كما تقدم، ولله سبحانه أيام، قال تعالى: ﴿وذكّرهم بأيام الله﴾، وأيامه ســـبحانه محيطـــة بالأيام الزمانية، ومقادير أيام الله متفاوتة بحسب تفاوت مراتب فعله، فقد تُقدَّر بألف سنة، وبخمسين ألف سنة، كما ورد في القرآن الكريم، فهـــذه الأيام والأشهر لها حقائق متمايزة في مراتب الملكوت والجبروت، وتلـــك الحقائق لها آثار وخواص ورقائق في هذه الأيام، التي هي قوالب لها، وتلك أرواحها)[1].

(فالأيام من الأحد – الاثنين- الثلاثاء- الأربعاء- الخميس- الجمعة – السبت، وهذه الأيام روحانية يعرفها العارفون، ولها أحكام في الـــروح

---

١- التكوين والتجلّي ص ١٥٦- ١٥٧.

والعقل)[1].

**الثانية: السفر عبر الزمان**

إن الزمان له شيئية، وهذه الشيئية الزمانية هي إنِّيَّته، وكما قال أحد أعلام وعلماء القطيف عن الزمان: "ظاهر الإنيّة خفيُّ الماهية"[2]، وهـــذه الشيئية الزمانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: شيئية ما ضوية.

الثاني: شيئية حالية.

الثالث: شيئية مستقبلية (استقبالية).

والمؤمن المتحقق بحقائق العبودية والمتحلي بالصفات الإلهية، قد سخّر الله له كل شيء، ومن قاعدة التسخير يستطيع أي مؤمن في دولة الإمـــام المهدي عليه السلام، أن يسافر سفراً زمانياً، كما هو الحال في مقدرتـــه على السفر المكاني.

وفي هذا السفر الزماني، يكون الأمر في الماضي كما في المستقبل على حد سواء، وهو عبارة عن تجلّي جميع الأحـــداث الماضـــوية، وكشـــف الأحداث المستقبلية للإنسان المؤمن، فتكون الأحداث الماضية والمستقبلية حاضرة عنده ومكشوفة لديه، يراها ويعيشها دون احتجاب.

يمكن للبعض أن يرد على هذا الكلام ويقول: إن هذا الأمر هو من الأمور الغيبية، ولا يعلم الغيب إلا الله، فكيف نوفق بين ما تقول، وبـــين

---

١- التكوين والتجلّي ص ١٥٩.

٢- شرح دعاء التحميد ص ٨٥.

الإيمان بالغيب؟.

علينا هنا، أن نلتفت إلى شيء مهم في مسألة الغيب لم نشر إليه من قبل، فالغيب هو الغائب والبعيد عن الحواس، وقد سبق أن قلنا أن من ضمن أقسام الغيب أمران: ماضوي ومستقبلي، وإذا عدنا إلى تقسيم آخر للغيب، وهو التقسيم الأولي، نجد له مرتبتين:

المرتبة الأولى: الغيب المطلق، أو غيب الغيوب، وهو المتعلق بالذات الإلهية، حيث لا يعلم أحد من المخلوقات- على اختلاف مراتبها- منه شيئاً، فكل الموجودات الإمكانية أمام هذا الغيب المطلق سواء.

يقول الإمام علي عليه السلام: ( يا هو، يا من لا يعلم ما هو، ولا كيف هو، ولا أين هو، ولا حيث هو، إلا هو)[1].

فهذه هي المرتبة الأولى من الغيب، وهو الغيب المطلق، الذي هو شأن من شؤون الذات الإلهية، وكلامنا ليس في هذه المرتبة.

المرتبة الثانية: الغيب النسبي، وهو محل البحث، وهو الذي يكون غيباً بالنسبة إلى طائفة، وشهوداً بالنسبة إلى طائفة أخرى، أي يغيب عن بعض وينكشف للبعض الآخر.

من هذا النوع ومن هذه المرتبة ما جرى في الماضي، وما سيجري في المستقبل، الماضي بالنسبة لي غيب، ولكنه بالنسبة لمن عاشوا ذلك الزمان ليس كذلك، وهكذا الحال بالنسبة إلى المستقبل.

يقول القرآن الكريم في قصة النبي عيسى عليه السلام: ﴿وأنبئكم بما

---

١- الصحيفة العلوية ص ٣٥.

تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾[1].

(وفي عين الحياة: جاء رجل إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فسأله الإمام: من أنت؟ قال: أنا منجّم، فقال عليه السلام: هل أخبرك عن رجل قد عبر أربعة عشر عالَماً منذ مجيئك إلينا وإلى الآن، وكل عالَم ثلاثة أضعاف هذا العالَم، ولم يتحرّك من مكانه؟ فقال المنجّم: ومن هو؟ قال عليه السلام: أنا، وإذا أردتَ أخبركَ ما أكلتَ وما ادّخرتَ في بيتك)[2].

هذه الرواية تتطرّق إلى الأمرين معاً: السفر عبر الزمان، وكشف الغيب النسبي.

و ( قال أمير المؤمنين عليه السلام، بعد أن سأله رجل عن علمه بالغيب: إنما هو تعلّمٌ من ذي علم[3]، و ( عن معمّر بن خلاد قال: سأل أبا الحسن رجل من أهل فارس، فقال له: أتعلمون الغيب؟ قال أبو جعفر عليه السلام: يُبسَط لنا العلم فنعلم، ويُقبَض عنا فلا نعلم)[4].

نستنتج من كل ذلك، أن انكشاف الماضي والوصول إلى المستقبل، ليس بالأمر المستحيل في نفسه، أي أنه ليس من المستحيلات الذاتية، خصوصاً إذا عرفنا أن الماضي لم يَفْنَ، وأن المستقبل تحت غطاء الحجاب الزماني.

---

١- سورة آل عمران الآية ٤٩.

٢- حقيقة الإمامة ص ٨٧.

٣- شرح أصول الكافي ج٦ ص ٣٠.

٤- المصدر السابق.

وبعد هذا الإيضاح نعود لنتعرّف على وسائل السفر الزماني، فكيف يتم السفر عبر الزمان؟.

## وسائل السفر عبر الزمان

من المعلوم أن للسفر عبر المكان وسائله، وهذه الوسائل قد تقدمت مع مرور الزمان وتقدم الأدوات، ومن هذه الوسائل ما هو سريع، ومنها الأسرع، مثل السيارة والقطار والباخرة والطائرة، أي منها البرية والبحرية والجوية، هذه هي وسائل السفر عبر المكان، فما هي وسائل السفر عبر الزمان؟.

سوف نشير هنا إلى وسيلتين أو طريقين ، وهما:

الأول- (طريق التجرّد):

أي الوصول إلى مرحلة التجرّد.

وقد يتعجّب البعض من هذا الكلام، ويندهش آخرون، ولكنه أمر سهل وبسيط عند أصحاب اليقين، كأمير المؤمنين عليه السلام، الذي يقول: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، ومن حقنا هنا أن نسال: هل حقاً سيأتي زمان نسافر من خلاله عبر الزمان، ونلتقي بالزمان الماضي والزمان الاستقبالي؟.

وسيأتينا الجواب: نعم، وإن كان تقبل هذا الأمر الآن صعباً على بعض النفوس، كما كان الأمر نفسه في الماضي بالنسبة إلى السفر عبر الفضاء، والصعود إلى القمر، والوصول إلى المرّيخ، وسوى ذلك مما تم الآن وأصبح متقبّلاً لدى النفوس، كان ثمة صعوبة في السفر عبر الفضاء، وذلك

لوجود المعوقات والموانع والقوانين غير المعروفة، والتي من أهمهـــا قـــانون الجاذبية، وعندما تم اكتشاف هذه القوانين وقهرها وتطويعها بالعلم لإرادة الإنسان، استطاع الإنسان أن يسافر عبر الفضاء، فلمـــاذا إذاً نتعجـــب ونستغرب السفر عبر الزمان؟.

سيأتي وقت أيضاً، يقهر الإنسان فيه المعوقات والموانع التي تقف في الوقت الحاضر حائلاً بينه وبين سفره الزماني، سوف يقهر ويذلّل هـــذه الموانع جميعها، وسينتصر الإنسان في النهاية على هذه القوانين، كما انتصر في الماضي على جملة من القوانين، وفي طليعتها قانون الجاذبية، واســـتطاع أن يسافر عبر الفضاء، وأن يمخر بمراكبه وطائراته عباب الفضاء والهـــواء، وهذا اليوم الموعود، سيكون في خلافة صاحب الزمان، الإمـــام المهـــدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه، وسيكون ذلك بوسيلة التجرد النفسي، أو التحرر النفساني من آثار وتعلقات البدن والمادة، والقدرة على التخلص من سجن البدن.

وقبل الولوج في عمق هذه المسألة، وتسهيلاً للمعنى والأمر معاً، أود هنا أن أثير هذا السؤال، الذي ليس للكثير من الناس أدنى اطّلاعٍ عليـــه ومعرفة حوله، وهو: هل حقاً يفنى الماضي وينعدم، وينتهي بشكل كامل ومطلق؟ أم أنه يبقى في مرتبة أخرى من المراتب الوجودية؟.

وهل للأحداث الاستقبالية أو المستقبلية وجود أم لا؟.

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، نرى أن بعض الآيات تشير إلى حقيقة مهمة، مرتبطة بالفعل الإنساني والعمل البشري، وهي حقيقة بقاء العمـــل

والفعل، وأن كل عمل يعمله الإنسان وكل فعل يفعله محفوظ في خـــزائن ثلاث:

الخزانة الأولى: هي الوعاء النفساني، حيث الأعمال والأفعال محفوظة في عمق النفس الإنسانية.

الخزانة الثانية: هي الوعاء المكاني، المكان الذي يعمل فيه الإنسان.

الخزانة الثالثة: هي الوعاء الزماني، أي الزمان الذي تم فيه العمل، أو الفعل.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم مؤكّداً على هذه الحقيقة: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿يوم تجد كل نفس مـــا عملت من خير محضَراً﴾[2].

وأما انطواء الزمان بكلا شقيه الماضي والاستقبالي في الوعاء النفساني لكل إنسان ولو نسبياً، فهو قائم بالدليل الوجداني.

وتوضيحاً لهذا الأمر نقول: إن الإنسان لديه القدرة والقابلية لتذكّر ما مضى من الأعمال والأفعال والأقوال، فإذا أراد أن يتذكّر حادثة مـــن الحوادث الماضية، حدثت قبل شهر أو سنة أو عشرات السنين، فليس عليه إلا أن ينتقل إلى الأرشيف الذهني، ويتنقّل في الوعاء النفساني، ويتـــذكّر تلك الأيام، ويسترجع ما يريد من الأحداث، فيراها ولو بالقوة الخيالية أو المتخيلة، ماثلة أمامه.

---

١- سورة الكهف الآية ٤٩.

٢- سورة آل عمران الآية ٣٠.

هذا من الزاوية الماضوية، و الأمر ذاته من الزاوية الاستقبالية، فليس عليه إلا أن يحرك القوة الخيالية ويتخيل ما يريد فعله بعد ساعة مثلاً، كأن يتخيل أنه يذهب إلى أحد أصدقائه، أو أنه يهيئ لنفسه طعاماً، أو يخرج في نزهة على شاطئ البحر، أو .. أو، وعندما يفرغ من هذا الخيال يقوم بهذه الأعمال، فيزور صديقه، ويصنع طعاماً لنفسه، أو يأتي البحر، كما رسم ذلك في مخيلته وذهنه وخطّطها في الوعاء النفساني، إذاً هنا سبق الزمان، وهناك أرجع الزمان، ولو بهذا المقدار وبهذه النسبة.

وهذه النسبة ستكون أكثر اتّساعاً وأعلى مرتبةً، وستأخذ طريقها إلى التحقق، وسيكون الأمر أعمق من كونه انتقالاً في الوعاء الذهني أو حركة خيالية، بل سيكون تنقلاً وسفراً في عمق الوعاء الزماني وحقائق الزمان، لأن كل شيء من أفعال وأعمال وأقوال الإنسان محفوظ في هذه الأوعية الثلاثة.

يقول أحد أعلام علماء القطيف: (لذا ورد أن التائب تنسى جوارحه ما كتبته، ويوحى إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض بالكتمان، ولا يذكّر به لا دنيا ولا آخرة، وورد شهادة رجب وشعبان ورمضان لمن صامها، وكذلك البقاع، لأن الأرض والسماء والزمان لا تعدم، بل الكل محفوظ ويعاد ولكن بطور آخر)[1].

وهذا ما اكتشفه العلم الحديث أخيراً، وقد سعى لاستخراج بعض الأحداث التي حدثت في الماضي، يقول الدكتور مصطفى محمود: ( نحن

---

١- ثلاث رسائل - غاية المراد في تحقيق المعاد ص ٧٨.

حينما نرى أحد النجوم ويخيل إلينا أنا نراه الآن، نحن في الحقيقة نراه عن طريق الضوء الذي ارتحل عنه منذ ألوف السنين ليصلنا، نحن في الواقع نرى ماضيه ويخيل إلينا أننا نرى حاضره، وقد يكون في الحاضر قد انفجر واختفى، أو ارتحل بعيداً خارج نطاق رؤيتنا، وما نراه في الواقع إشارة إلى ماض)[1].

وللبعض أن يقول: لو كان هذا الأمر صحيحاً، فلماذا لم يتم ذلك إلى الكثير من الناس؟ ونجيب: إن السبب هو الإنسان نفسه، إن الله تعالى لم يبخل على الإنسان بشيء، فقد خلقه عملاقاً كبيراً، وأودع فيه القابلية لأن يكون خليفته في الأرض، ولكن هذا الإنسان رضي أن يكون محدوداً ومحبوساً ومقيداً ومحجوباً، في الطين والتراب والشهوات والملذات.

وقد أعجبني قول بعض الفضلاء: ( إن محدودية الإنسان هي التي جعلت له زماناً ماضياً وآخر حالياً وآخر استقبالياً، إذ في الواقع الخارجي الكل موجود، وليس هناك شيء ماضٍ وآخر سيأتي، مثلاً: إذا كنا جلوساً في محفل، فالمجلس في الآن الأول موجود، وبعد ساعة سينفض، والغرفة حينها تصبح فارغة من البشر، ولكن هذه الصورة تبقى موجودة، وهذا الوجود نفسه يبقى موجوداً في محله.

ونحن تارة ندرك هذه القضية، و تارة أخرى لا ندركها، كالجالس داخل غرفة وهو ينظر من فتحة الباب إلى الفضاء خارجها، فلو فرضنا أن هناك رجالاً ثلاثة يمشون من أمام فتحة الباب، رجل في المقدمة والثاني في

---

١- آينشتاين والنسبية ص ٣٩.

الوسط والثالث في الأخير، وكلهم يمرون من أمامه، فالأول الذي مرَّ بـــه فإنه يراه في الزمان الحاضر، وعندما تجاوز باب الغرفة صار بالنسبة إليـــه ماضياً، لأنه لم يره بعد ذلك، مع أنه في الواقع موجود، وهكذا إذا مـــر الثاني، ففي نظر الجالس في الغرفة، أن الأول انمحى واضمحل، والموجود هو فقط الثاني الذي أمامه، لأن الثالث بالنسبة إليه استقبالي لأنه لم يـــره بعد، ولكن في واقع الحال، الأول والثاني والثالث كلهم موجودون، ولكن مدارك الناظر عاجزة عن درك هذا الوجود، فنحن في وجودنا نتحـــرك، وكل حركاتنا وسكناتنا مسجلة ومستقرة في هذا العالم، ولكن نحـــن لا ندرك ذلك لعجز فينا لا لاضمحلال هذه الحقائق، وبناء على هذا الكلام، فإن جميع الأعمال مسجلة في صفحة الوجود، وإن كنا لا ندري بالضبط أين تكون مسجلة، أفي الفضاء أم في الهواء أم غير ذلك.

ولعل هذا هو الذي أشار إليه بعض علماء الفلك، من أنـــه توجـــد بعض الصور في هذا العالم، ونحن نعمل الآن لإمكانية تصويرها وتحويلها إلى الحس من جديد، وقال بعضهم: نحن يمكننا أن نخرج صور العديد من أحداث التاريخ في فيلم متلفز، لأن الصور لا تضمحل، وإنما هي باقيـــة وثابتة)[1].

(وقد اكتشف العلماء جهاز تصوير يعمل بالأشعة ما تحت الحمراء، يستطيع أن يصور حدثاً لم يمض عليه أكثر من بضع لحظات، وأما كيفيته على ما نقلته بعض وسائل الإعلام، فهي أن الحدث - بعد صدوره مـــن

---

١- المظاهر الإلهية ج١ ص ١٣٨.

الأجسام- يبعث أمواجاً في الفضاء، وهذا الجهاز يتمكن من اجتذاب هذه الأمواج، ويحولها بواسطة جهاز يدعى " ترفو كرام"، ثم يجمعها ويعطيها صورتها، وقد نقل أخيراً أن هذا الجهاز أو شبيهه سوف تستخدمه أجهزة مكافحة الجريمة في تصوير الجرائم الواقعة، إذا لم يمض عليها زمن قياسي طويل، لمعرفة المجرم وكيفية حصول الجريمة)[1].

ألم يقل القرآن الكريم: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾، فشيئية الماضي لم تعدم، وشيئية المستقبل لها وجود، والشيء والموجود يستطيع الإنسان أن يراهما إذا تجرد من علائق المادة، وتحرر من سجون الأهواء النفسانية والمكائد الشيطانية، وعندها يستطيع هذا الإنسان السفر عبر الزمان سفراً روحانياً، والنظر إلى كل المشاهد الماضية وهو في مكانه، ويستطيع رؤية مستقبله أيضاً.

(ينقل السيد القاضي عن السيد الخوئي قوله: عندما كنت في النجف مشغولاً بتحصيل العلوم الدينية، كنت ملتزماً بالآداب والسنن والأوراد والأذكار، وكنت أحضر أحياناً المجالس الأخلاقية المباركة للمرحوم السيد علي القاضي قدس سره، وأنتفع من أنفاسه القدسية، إلى أن قلت له يوماً: علمني شيئاً أعمل به، فأعطاني عملاً وقال: التزم به أربعين يوماً، فواظبت على أوراده، وفي اليوم الأربعين حصلت لي حالة مكاشفة، فرأيت جميع الحوادث وكيفية حياتي ومستقبلي، ورأيت نفسي على المنبر أعطي درساً، ورأيت نفسي جالساً في المنزل والناس تتردد عليّ، ورأيت إمامتي لصلاة

---

١- المظاهر الإلهية- حاشية ص ١٣٩.

الجماعة، ومراجعات الناس لي وحالات مختلفة، رأيت كل ذلك كمـــرآة تشير أمامي، حتى وصلت إلى مكان سمعت فيه صوتاً من أعلى منارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، انتقل إلى جوار ربه الكريم آية الله السيد الخوئي، ثم ارتفعت تلك الحالة عني، ورجعت إلى حالتي العادية)[1].

نلمس من هذه القصة، أن السيد الخوئي قدس سره، قد سافر عـــبر الزمان- المستقبل- في دقائق معدودة، رأى من خلالها أحداثاً استمرت له أكثر من خمسين سنة، أي تراءت له أحداث لسنوات طـــوال في دقـــائق معدودة، عن طريق التجرد الروحي.

هل بإمكان الإنسان أن يصل إلى مرحلة التجرد الروحي؟

نعم إن ذلك بالإمكان، وليس أدل على إمكان الشيء من وقوعه.

فإذا رجعنا إلى أنفسنا رأينا بالدليل الوجداني إمكان ذلك، فلقد وقع التجرد لكل فرد من البشر، وجرّبه كل إنسان، فإن لم يكن قد حصل هذا التجرد في اليقظة، فقد حصل- على أقل التقادير وأضعف الاحتمالات- في النوم عن طريق الأحلام، والنوم هو الموت الأصغر، وذلك لما يقـــع في حالة النوم للإنسان من التجرد، والتخلي ولو بشكل جزئي عن علائـــق البدن وحاجيات الجسم، ولذا اعتبرت الأحلام من الآيات الإلهية، يقـــول الله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله، إن في

---

١- القصص العرفانية ص ٣١٤.

ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[1].

(الرؤيا الصادقة ارتباط النفس بمباديها العالية النورية، فتعقل الحقائق أولاً ثم تتخيلها نـــزولاً، أي تصورها بحسن صناعتها في صقع ذاتها بقواها المتخيلة، على صور تناسب تلك المعاني، ومن الأدلة التي أقاموها على أن النفس جوهر مفارق، ما يدركه الإنسان في مناماته من المغيبات الصادقة، لا يتأتى مثلها له في اليقظة غالباً، والارتباط المذكور إنما يتأتى من حيـــث انصراف النفس عن هذه النشأة، فإن تحقق الانصراف في اليقظة، يتحقق مثل الرؤيا أيضاً، وفي الروايات أن الرؤيا الحسنة جزء من النبوّة، وذلـــك الجزء متفاوت باعتبار مراتب الرائي)[2].

الثانيً- (طريق الصعود إلى مرتبة اللطافة):

التجرد: عبارة عن تحرر النفس من سلطة البدن العنصري وعوارضه المادية، وعلائقه الكثيرة وحيثياته المتعددة وجهاته المتعارضة.

واللطافة: هي عبارة عن طرح تلك الحيثيات، وطرد تلك المقتضيات والعوارض، والتخلص من جواذب الكثرات وأضداد الجهات، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق التزكية والتربية والرياضات الشـــرعية، والصـــعود في المعارف الإلهية والعلوم الحقيقية والتي على رأسها علم التوحيد، والوصول إلى التوحيد الحقيقي عبر التوحد الوجودي.

والتوحد الوجودي = التوحد الأفعالي + التوحد الصفاتي بالنسبة إلى

---

١- سورة الروم الآية ٢٣.

٢- سرح العيون ص ٣٢.

الإنسان، وبمعنى آخر= التوحد الظاهري+ التوحد الباطني، وهذا التوحد يؤدي إلى التطابق في الكونين والعالَمين.

إن السير في مراتب التوحيد ودرجاته يصل بالإنسان إلى أعلى مراتبه وأرقى درجاته وأكمل حقائقه، وهو: " التوحيد الشهودي، والتوحيد التحققي" لله تعالى.

يقول الإمام الخميني "قدس سره": ( فلو تحررتَ من أسر النفس، وأصبحتَ عبداً للحق المتعالي، وجعلتَ القلب موحِّداً، وجليتَ مرآة روحك من غبار النفاق والاثنينية، وأرسلتَ قلبك إلى النقطة المركزية للكمال المطلق، لشاهدتَ بعينيك آثار ذلك في هذا العالَم، ولتوسّع قلبك بقدرٍ يغدو محلاً لظهور السلطنة التامة الإلهية، حيث تصير مساحتها أوسع من جميع العوالم: "لا تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن"، ولشعرتَ غِنىً واضحاً في النفس، حيث لم تعد تعبأ بكل العوالم الغيبية والمادية، ولأصبحتْ إرادتك قوية، حيث لم تعد تفكر في عالمي الملك والملكوت، ولم تعد تجد لهما اللياقة لاحتضانك)[1].

وكما بالإمكان أن يكتسب البدن من جهة النفس، بعض الحيثيات والخصائص، ويصل بذلك إلى لطافته وصقالته وعالي همته، ( ويطير الإنسان بهمته كما يطير الطائر بجناحيه)، فكذلك هو الحال بالنسبة إلى النفس إذا توجهت إلى جهة البدن، تكتسب منه بعض حيثياته ومقتضياته، من الكثافة والثقل والاشتغال بالكثرات والتقيد بالجهات المتضادة، فتكون

---

١- رشحات ملكوتية ص ٥٣.

العبادة من أثقل الأعمال على هذه النفس، وهذا ما عبروا عنه بالتثاقل والكسل، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض﴾[1]، ويقول عزّ من قائل: ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾[2]، ويقول جلت عظمته: ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾[3].

فالنفس إذاً تكتسب حيثيات البدن ومقتضيات الجسم وفي مقدمتها: الثقل "اثّاقلتم"، والكثافة والكثرة "كسالى"، إذا وئدت بالشهوات وقبرت بالأهواء، و لم يكن للإنسان همٌّ سوى بطنه وفرجه.

إذاً، اللطافة: هي عبارة عن انعكاس سلطة النفس، واكتساب البدن حيثيات النفس، وخضوعه الكامل والتام لهذه السلطة، وبعد هذه المرحلة –الاكتساب–تكون التبعية، أي تبعية البدن لمقتضيات النفس، ومن ضمن هذه المقتضيات اللطافة، وإذا اكتسب البدن اللطافة من جانب النفس، طرحت الكثافة ونُزِع الثقل من الجانب الترابي المادي، ومن هذه العملية –الطرح والاكتساب– يستطيع الإنسان أن يسافر عبر الزمان.

من كل ما ذكرنا، يتوضح لنا أن الإنسان يمر بمرحلتين: التخلّي عن الكثافة، والتحلّي باللطافة، وبهذا البدن اللطيف التابع لسلطة النفس، يمكن

---

١- سورة التوبة الآية ٣٨.

٢- سورة التوبة الآية ٥٤.

٣- سورة النساء الآية ١٤٢.

للإنسان أن يسافر عبر الزمان- الماضي منه والمستقبلي-، وهذه المرتبة لا يصل إليها إلا آحادٌ من العبّاد والأولياء.

وهنا أحب أن أذكر هذه الرواية التي تشير في مدلولها إلى سلطة أئمة أهل البيت عليهم السلام على الزمان:

( في خبر حكيمة عليها السلام قالت: فلما كان بعد أربعين يوماً، دخلت دار أبي محمد عليه السلام، فإذا مولانا صاحب الزمان عليه السلام يمشي في الدار، فلم أر وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال لي أبو محمد: هذا المولود الكريم على الله عزّ وجلّ، قلت له: يا سيدي، له أربعون يوماً وأنا أرى من أمره ما أرى!، فقال عليه السلام: أما علمتِ يا عمّتي، أنا معشر الأوصياء، ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في السنة؟)[1].

(صاحب الزمان: هو من خرج عن حكم الزمان، لتحققه بجمعية البرزخية الأولى، وعن تصرف ماضيه ومستقبله فيه، وفي كل ما يبدو منه، وصار ظرف أحواله وأفعاله، وظاهره وباطنه، وكل ما يظهر منه، الحال الدائم الذي عرفتَ أن كل لحظة منه كالدهور من الزمان المتعارف، وكذا الدهور منه كلمحة من هذا الزمان، الغالب عليه حكم الماضي والمستقبل، ثم إن صاحب الزمان يتمكن من طي الزمان ونشره وبسط المكان وجمعه، فإنك كما تتمكن من ذلك في قوتك الوهمية، فإن هذا المتحقق بالحق يتمكن من ذلك حقيقة لا وهماً، فيتلو علوم العالمين جميعاً بلفظة واحدة،

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٢٣٧.

مشتملة على جميع المعاني والألفاظ، الكائنة من المبدأِ إلى المنتهى، ويُعرَض على عينه جميع العالمين من أعيان الجواهر والأعراض، التي كانت من مبدأِ الوجود والإيجاد، والتي تكون إلى منتهاه، كل ذلك بلحظة واحدة.

وقد عرفتَ أنها من حيث حقيقتها، مشتملة على جميع الأزمنة والأوقات، فلهذا من تحقق بمظهريتها، من حيث هي شأن من شؤون الواحدية، صار لا محالة مستعلياً على الزمان والمكان، وحاكماً عليهما، ومتصرفاً فيهما، فيلحظ بعينه جميع الآثار والصفات والنعوت الأصلية والعارضية، وكذا الكمالات الحاصلة لتلك الآثار والمتعلقة بها، ويلحظ أيضاً المحل المعنوي الذي يحصل ذلك اللحظ فيه، وهو باطن الزمان، الذي هو حقيقته المتجلية في صورها، إنما يزيد عليها بتعيُّناتها آنات وساعات وأياماً وشهوراً، وأدواراً وأكواراً ودهوراً، والعين في الكل واحدة، وهي الطبيعة الزمانية ...

فصاحب الزمان-إن شاء- ظهر في زمان أقل من لمحة، فسمع جميع أصوات الداعين كلهم، وفهمها كلها، وعرف مفهوم سائر اللغات، التي كلها بالنسبة إليه على السوية، لأنه مظهرها من حيث تعيُّناتها في الحقيقة البرزخية، وإن شاء طوّل الزمان فظهر طويلاً ...

هذا كله من خواص صاحب الزمان، الحاكم على الحال والزمان، والمتصرف فيه، لتحققه بمظهرية باطن الزمان وأصله، وهكذا فلتفهم، أن المتحقق بباطن الأشياء هو المتصرف فيها)[1].

---

١- لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ص ٣٤٩- ٣٥١.

والغرض من نقل هذا الكلام بتمامه، هو الاطّلاع على المعنى العميق لصاحب الزمان، فما أعلاه من مقام، وما أعظمه من إمام، فزمان صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه، يتمتع بمزايا زمانية مذهلة، من أهمها:

١)- أصل الزمان.

٢)- الحقيقة الزمانية.

٣)- الباطن الزماني.

٤)-التجلّي الزماني.

٥)- التعالي على الزمان.

٦)- النفوذ في باطن الزمان.

٧)- التصرف في الزمان.

٨)- الحضور في الأزمان المختلفة.

٩)- الخروج من حكم الزمان.

١٠)- القدرة على جمع الزمان وتفريقه.

وعندما نتأمل الروايات التي تصف الزمان المهدوي بتحقق الخلافة الإلهية، نصل إلى حقيقة محيّرة وعجيبة، وهي أن الإنسان في طول الأزمان الماضية، لم يكن يتمتع بطعم الزمان ولذته، ولم يكن يعيش في حقيقة الزمان، أو يعيش في أدنى حقائق الزمان وأقل مراتبه، وإنما كان يعيش في زمان الزور، الزمان المصنوع من الظلم والقهر والحرمان، زمان الفوضى واللعب واللهو، وبمعنىً آخر، زمان لا بركة فيه، ولا خير منه، وليس له قيمة، زمان أشبه شيء بالخدع السينمائية، وأما الزمان الحقيقي فهو في

زمن المهدي صاحب الزمان، الذي سيعيش فيه الإنسان في باطنه وحقيقته، ويسخّره ويسافر عبره، ولكن هذا الزمان هو الزمان المهدوي.

إن اللطافة هي وسيلة من وسائل هذا السفر، و الوصول إليها ممكن، واللطافة تعني الشفافية في الوجود، مثل النور الذي له حقيقة شفافة، ولذا يستطيع النفوذ في الأجسام الشفافة ويتخللها، كما يجري ذلك في الزجاج المصقول النظيف والماء الصافي والهواء، والزمان هو من الأشياء المتعالية عن المادة، ولا يمكن اختراقه إلا بالتجرد الروحي أو اللطافة، أي التعالي.

وكل هذا باعتبار أن زمان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، هو الزمان البرزخي، أي الفاصل بين عالَمين، عالَم الدنيا وعالَم الآخرة، ولذا كانت له صفة استثنائية عن باقي الأزمنة، وهذه الصفة هي: العود بعد النزول، لأن الموجودات الإمكانية لها حركتان:

١)- حركة نزولية من العوالم العالية إلى العوالم السفلية، وضمن هذه الموجودات الإنسان، والعالَم السفلي له أحكام واقتضاءات تخصّه، من هذه الأحكام والاقتضاءات: الكثرة، والتزاحم، والتضاد، والكثافة، والغواشي، هذه المقتضيات كلها في هذا العالَم السفلي النزولي، تمنع من السفر عبر الزمان.

٢)- حركة صعودية وعَوْد: والصعود أمره يختلف تماماً، فما هو موجود في عالم النزول يتلاشى في حركة العَوْدِ والصعود، ومن أهم هذه التبدلات والتغيرات، أن الإنسان في عالَم النزول يكتسب الكثافة، ولكنه في عالَم العود يطرح الكثافة ويكتسب اللطافة، وهذا ما سيكون في

خلافة الإمام المهدي عليه السلام، نعم لهذه اللطافة مراتب مشككة، وهذا الأمر تابع لمقتضيات القوابل المختلفة، والاستعدادات المتفاوتة بين الناس.

وماذا عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه؟!.

(عدم تأثير طول الأعصار وتعاقب الليل والنهار، وسير الفلك الدوّار في بنيته ومزاجه، وأعضائه وقواه وصورته وهيأته عليه السلام، فهو بهذا العمر الطويل ... فإذا ظهر كان كابن ثلاثين أو أربعين، في حين أن أحداً من طويلي الأعمار من الأنبياء السالفين، لم ينج من سهام الشيخوخة والهرم: ﴿إن هذا بعلي شيخاً﴾، ويشكو نبي آخر من ضعف الشيخوخة فيقول: ﴿إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً﴾.

(روى الشيخ الصدوق عن أبي الصلت الهروي أنه قال: قلت للإمام الرضا عليه السلام: ما علامة القائم منكم إذا خرج؟ قال: علامته أن يكون شيخ السنِّ شابَّ المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها)[1].

## ثانياً- مقام صاحب العصر

روي (عن المفضّل بن عمر أنه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ والعصر، إن الإنسان لفي خسر﴾، فقال: العصر عصر خروج القائم عليه السلام، وإن الإنسان لفي خسر، يعني أعداءنا)[2].

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٥٧١.

٢- البرهان في تفسير القرآن ج٤ ص ٥٠٤.

كان الحديث في النقطة السابقة حول "مقام صاحب الزمان"، ونأتي الآن إلى مقام آخر من مقاماته القدسية، وهو مقام صاحب العصر.

ما هو المقصود من العصر؟

(قيل: هو الدهر، وقال ابن عباس: ما يلي المغرب من النهار، وقال قتادة: هي ساعة من ساعات النهار، وقيل: الليلة، واليوم)[1]، وكل هذه التفاسير من جهة ظاهر الكلمة، ولكن الإمام الصادق عليه السلام، أشار في الحديث السابق عن الجهة الباطنية للكلمة، أو المعنى الباطني والخفي للآية، وهو "عصر المهدي" عليه السلام.

ما الذي تعنيه رمزية العصر؟ وما الذي يعنيه هذا المقام؟.

يتضح لنا هذا المقام، إذا ما حددنا معنى الكلمة ومدلولها، وهل هذا الرمز يدل على فترة زمانية وقتية؟ أم أنه يدل على كيف زماني متعلق بالكيف الإنساني في خلافة الإمام المهدي عليه السلام؟.

الأقرب أن يكون الأمران معاً، من حيث:

- أن العصر هو فترة زمانية، لها طابع بالكيف الإنساني، من حيث الأفعال والسلوك والأخلاق والصفات الصاعدة والمتعالية.

- أن العصر من الرموز الخاصة للإمام المهدي عليه السلام، والعصر المهدوي سوف يكون له كيفُه الخاص، كيفٌ متعال في كل أبعاد الوجود ومراتبه، من أدناها إلى أعلاها.

لماذا أُطلق هذا الاصطلاح دون غيره؟.

---

١ - لسان العرب ج٤ ص ٦٦٢.

من القضايا المطروحة على بساط علم الاجتماع اليوم، أن التـــاريخ البشري يمر بمراحل مثل مراحل الإنسان الفرد، فكما أن الإنسان الفرد يمر بمرحلة الطفولة والصِّبا والمراهقة والشباب والرجولة والشيخوخة والكهولة والهرم، والأمر نفسه كذلك بالنسبة إلى المراحل الزمانية والأوقات اليومية، في كل مرتبة من مراتبه، وفي كل حقيقة من حقائقه، وفترة من فتراته، يمر اليوم بمراحل هي أشبه شيء بمراحل الإنسان أيضاً، وهذه المراحل هي:

١)- الفجر والصبح = الطفولة المبكرة.

ووجه التقارب بين المرحلتين، هو من حيث الصفاء بكلا الزمانين.

٢)- الظهر = المراهقة وبعض فترات الشباب المضطربة.

ووجه التقارب هو من حيث الحرارة الغريزية والتهاب القوة الشهوية وسخونة الطباع.

٣)- العصر = الشباب المتزن والناضج، ومرحلة الرجولة في ســـن الأربعين.

ووجه التقارب هو من حيث التعقل، ورجحان القوة العاقلة والطباع المعتدلة، واتّزان الصفات والملكات، وبداية رحلة العود.

٤)- المغرب = الشيخوخة الأولى.

ووجه التقارب هو من حيث ظهور الضعف، وغـــروب القـــوى الجسمانية، من السمع والبصر والجوارح.

٥)- الليل = الكهولة.

ووجه التقارب هو من حيث السكون للّيل، والســـكينة للكهولـــة،

والخلود إلى الراحة.

إذا دقّقنا النظر جيداً في هذا التقسيم، وتمعنّا في أوجه هذه المقارنـــة، نجد أن العصر هو فترة بين فترات زمانية مختلفة ومتضادّة، وأنها تفترق عن كل الفترات تماماً، والاختلاف هو في الطابع أو كما يقال لها في الحيثيات لكل زمان وفترة.

كذلك هو التاريخ البشري، فأزهى وأقوى وأجمل وأكمل مرحلـــة من مراحله، هي مرحلة العصر البشري من عمر التاريخ، وهذه المرحلـــة والفترة مختصة بصاحب العصر، وهو الإمام المهدي عليه السلام، وعصره يعتبر حلقة وصل بين عالَم الدنيا وعالَم الآخرة، وتتصل دولته عليه السلام بالقيامة، برجعة سائر الأئمة عليهم السلام، وذُكر أن الإمام الصادق عليه السلام، كان يكثر من الترنم بهذا البيت:

لكل أناسٍ دولـــةٌ يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر[1]

والملفت اليوم، تلك الدعايات المغرضة والكاذبة، التي تبثّها وســـائل الإعلام المقروءة منها والمسموعة والمرئية، أن هذا القرن هو العصر الذهبي للحضارات، وهذا ادّعاء باطل من أساسه، لأن هذا العصر إن هـــو إلا عصر الصدأ والرين، عصر التلكس، وعصر المحرَقة، والنفايات النوويـــة، والإشعاعات الذرية، عصر الخوف والرعب والإرهاب.

وأما العصر الحقيقي الذي ترتفع فيه جميع هذه الأمراض والأخطـــار والخوف، فهو عصر لا يمكن أن يوصف إلا بأنه العصر المهدوي المحمدي

---

١ – الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة ص ٣٤١.

الإلهي.

## حقائق العصر المهدوي

يتميز عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه، عن غيره من الأزمان والفترات، بانكشاف الحقائق والدقائق والرقائق، وينفرد العصر المهدوي بتجلّي الخفايا وظهور الغيب وبروز البواطن، والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين مهمين:

أولهما: العصر البرزخي.

البرزخ: هو الحد الفاصل بين شيئين، فالعصر المهدوي يمتاز بالبرزخية الزمانية، أي العصر الفاصل بين عالَمين متناقضين هما: عالَم الدنيا وعالَم الآخرة، وفي هذا العصر البرزخي حقيقتان، لهما تعلق بشؤون الإمامة ومظهر الولاية، وهما:

الأولى- قيام القيامة الصغرى وذلك عن طريق الرجعة، خصوصاً إذا علمنا أن سورة العصر تخص الإمام المهدي كما جاء ذلك في الخبر المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، وفي هذه القيامة ترجع أفواجٌ وأقوامٌ إلى الدنيا، ويحاسَبون في هذه القيامة الصغرى قبل القيامة الكبرى والعامة، التي هي شأن من شؤون الآخرة، وعلى رأس الذين يرجعون، النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل البيت عليهم السلام، وكل من ظلم أهل البيت أو غصب حقهم، سوف يرجع وينال عقابه الدنيوي، قبل العقاب الأخروي.

(عن ابن أبي عمير عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال:

ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿ويوم نحشر من كل أمةٍ فوجاً﴾؟ قلت: يقولون: إنها في القيامة، قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، يحشر الله من كل أمة فوجاً ويدع الباقين، إنما آية يوم القيامة قوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾)[1].

(عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾، قال: ليس أحد من المؤمنين قُتِل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يُقتَل)[2].

(قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾، قال: نبيكم راجع إليكم)[3].

(ذُكر عند أبي عبد الله عليه السلام جابر فقال: رحم الله جابراً، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾، يعني الرجعة[4]).

(عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾، قال: يرجع إليكم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام)[5].

وهذه الرجعة، هي ما يمكن أن نطلق عليها: "القيامة الصغرى"، أو

---

١- البرهان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٣٦.

٢- البرهان في تفسير القرآن ج٦ ص ٣٩.

٣- المصدر السابق ص ١٠١.

٤- المصدر السابق ص ١٠٠.

٥- المصدر السابق.

"الحشر الأصغر"، في قبال القيامة الكبرى والحشر الأكبر.

الثانية- تحقق جنة الولاية والإمامة قبل جنة القيامة، وهذا من معاني العصر البرزخي.

إن الأرض والسماء والفضاء سيشهدون نقلة نوعية على المستويين: العمومي والشمولي معاً، وستحقق للإنسانية جنة الأرض، الجنة الأرضية، ببركة الإمامة وأنوار الولاية، وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات، حيث ستنعم الأرض بنعمة في خلافته وعصره عليه السلام، لم تنعم بمثلها من قبل، وفي مقدمة هذه النعم، توفر المياه في الأنهار بطعم عذب بارد ونقي طيب، وتوفر الأشجار التي تتدلّى منها الثمار، وتلبس الطبيعة ثوباً أخضر من العشب يسر الناظرين، وحلول التعايش السلمي، والتخلص من جميع الأمراض البدنية والنفسية والاجتماعية، فتكون هذه الجنة مستنسخة من جنة الآخرة، أو صورة قريبة منها، من خيراتها وطيبها ونعمها، وطول الأيام والأعمار، ومضاعفة القوى الجسمانية والبدنية الظاهرية، من السمع والبصر والجوارح، والقوى الباطنية، من الخيال والهمة والتصور والإرادة والعزيمة.

(عن المفضل بن عمر، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾، قال: ربُّ الأرض: يعني إمام الأرض، قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر، ويجتزون بنور الإمام)[1].

---

١- البرهان في تفسير القرآن ج٦ ص ٥٦٥.

(من هنا فإن ظهور المهدي يعتبر محطة كبرى لقربه من العالَم الآخر، من مسيرة الوجود الأوسع في السير نحو القيامة، والمنـــزلة الهائلة من عالَم الله تعالى)[1].

إن ظهور جنة الإمامة في العصر البرزخي- المهدوي، أمرٌ ناشئٌ من مظهريتهم عليهم السلام للأسماء الإلهية، فقد ورد عنهم: ( "نحن الأسمـــاء الحسنى"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا اسم أعظم مني"، وقـــال: "أنا اسم الله الأعظم" )[2].

وهذا الظهور هو على المستوى الجزئي، وليس على المستوى الكلي، والسبب في ذلك ضيق الدنيا، فكما هو محقق عند أهل العرفان، أن الدنيا بكاملها لا تتسع لظهور حقيقة باطن إنسان واحد، سواء في هذا الأمـــر الحقيقة النورية أو الحقيقة الظلمانية، فكيف يسع وعاؤها حقيقة الإمامـــة وباطن الولاية؟ نعم يمكن أن نكتشف من بعض الروايات، أو نشتَمَّ مـــن بعض الأخبار، أن الوعاء الدنيوي سيكون له اتّساع أكثر، لكي تكون له القابلية في تلقي هذا التغير الكبير، الذي لا نظير له ولا مثيل ولا شبيه.

وما رجعة أهل البيت عليهم السلام في الحقيقة إلا لتحقيق هذا النوع من الجنة، وتحقيق مرتبة من مراتبها، كما تتحقق بالرجعة أيضاً مرتبة من مراتب العذاب، يطلق عليها القرآن الكريم صفة "العذاب الشديد"، حيث ينتقمون من أعدائهم ومبغضيهم وغاصبي حقهم، وأما في الآخرة فيُرَدّون

---

١- ما قبل نهاية التاريخ ص ٢٩.

٢- التكوين والتجلّي ص ٥٤.

إلى مرتبة من العذاب أعظم، يطلق عليها القرآن الكريم صـــفة: "أشـــد العذاب".

قال تعالى: ﴿ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب﴾[1]، وقال عزّ من قائل: ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾[4].

عندما نـــزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فلا يخفف عنهم العـــذاب ولا هم ينصرون﴾[5]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هؤلاء اليهود نقضوا عهد الله، وكذّبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أنبـــئكم بمـــن يضاهئهم من يهود هذه الأمة؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: قوم من أمتي، ينتحلون أنهم من أهل ملتي، يقتلون أفاضل ذريـــتي وأطايـــب أرومـــتي، ويبدلون شريعتي وسنتي، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين، كمـــا قتـــل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحيى، ألا وإن الله يلعنهم كمـــا لعنـــهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً، من ولد الحســـين المظلوم، يحرفهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم)[6].

---

١- سورة البقرة الآية ٨٥.

٢- سورة طه الآية ٧١.

٣- سورة آل عمران الآية ٤.

٤- سورة إبراهيم الآية ٢.

٥- سورة البقرة الآية ٨٦.

٦- البرهان في تفسير القرآن ج ١ طبع قم.

(عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر" الرجعة)[1].

(عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "العذاب الأدنى" دابّة الأرض)[2].

(عن الصادق عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، إن قائمنا إذا خرج، يجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد رجال بدر، فإذا حان وقت خروجه يكون له سيف مغمود، ناداه السيف: قم يا ولي الله فاقتل أعداء الله)[3].

وفي رواية أخرى: (فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص، أظهر أمره، فإذا اكتمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل، خرج بإذن الله عزّ وجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ، قال عبد العظيم: فقلت له يا سيدي وكيف يعلم أن الله قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة)[4].

هذا من جهة العذاب والانتقام من أعدائهم، وأما الروايات التي تصف لنا جنة الإمامة ونعيم الولاية، فمنها:

(عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كأني بسرير

---

١- بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٤.

٢- بحار الأنوار ج٥٣ ص ١١٤.

٣- المصدر السابق ج٥٢ ص ٣٠٤.

٤- المصدر السابق ص ٢٨٣.

من نور قد وضع، وضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء، مكلّلة بالجوهر، وكأني بالحسين عليه السلام جالساً على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه، فيقول الله عزّ وجلّ لهم: أوليائي سلوني، فطالما أوذيتم وذللتم واضطُهِدتم، فهذا يوم لا تسألوني فيه حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذه والله الكرامة)[1].

فهذا يؤكد ما قلناه من جنة الإمامة في الرجعة، ويعلق المجلسي على هذا الخبر بقوله: (بيان: سؤال حوائج الدنيا يدل على أن هذا في الرجعة، إذ هي لا تُسأل في الآخرة)[2].

وإذا رجعنا إلى قصة النبي نوح عليه السلام مع قومه، نجد التبشير بهذه الجنة أمراً واضحاً في كلماته ودعوته: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾[3].

وهذه الجنات ستتحقق في العصر المهدوي "العصر البرزخي"، ويمكن أن نطلق عليه أيضاً "العصر المثالي" و "العصر المتعالي".

فسلام عليك يا صاحب العصر، عجل الله فرجك وسهل مخرجك.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وأشرقت الأرض بنور

---

١- بحار الأنوار ج٥٣ ص١١٦.

٢- المصدر السابق.

٣- سورة نوح الآيات: ١٠ ١٢.

ربها﴾.

ثانيهما- تحقق عصارة عالَم الإمكان

يقول الإمام الخميني قدس سره في قوله تعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾: (العصر: هو الإنسان الكامل، وهو صاحب الزمان سلام الله عليه، أي عصارة جميع الكائنات، والقسم بعصارة جميع الكائنات، أي القسم بالإنسان الكامل[1]).

ما هو المقصود من عصارة عالَم الإمكان؟

العصارة: هي الخلاصة من الشيء، والمقصود من العصارة في هذا المقام، وصول الموجودات بجميع مراتبها إلى منتهى كمالها الإمكاني، كل على حسب قابليته وسعته الوجودية، وعندما نقول: الكل، لا يخرج من هذه الكلية أحد، ولا يشذ عن هذه القاعدة موجود، لأن الخلافة المهدوية ليست خلافة أرضية، أي على الأرض فقط، وإنما هي خلافة على كل الموجودات المادية والمجردة، من الملك إلى الملكوت.

عودٌ على بدء:

ونعود إلى السؤال الذي بدأنا منه، وهو: هل العصر هو صفة خاصة بالإمام؟ أم أنه خصوصية لزمانه؟

باعتبار أن هناك من يقول أن العصر هو الإمام عليه السلام، وهناك من يقول أن العصر رمزٌ لزمانه، ولكنني أجمع بين القولين وأقول أن العصر هو مخصوص بالإمام وزمانه، وانعكاس مكاسب هذا المقام على أهل زمانه

---

١- منهجية الثورة الإسلامية ص ٢١٨.

وعلى جميع الموجودات في خلافته عليه السلام، بما في ذلك أنواع السباع والبهائم، ومجموعات الطيور والزواحف، وأصناف الحجر والشجر.

والذي يقوي هذا الجمع، الروايات التي تقول أن الناس تستغني بنوره في يوم ظهوره عن نور الشمس والقمر، والروايات التي تصف اصـــطلاح السباع مع البهائم، أي اجتماع الأضداد أو ارتفاعها.

(استغناء العباد بنوره عليه السلام عن نور الشمس والقمر، وقد جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾، أن مـــربي الأرض هو إمام الزمان عليه السلام)[1].

(انتفاء النفور والاستيحاش من بين الحيوانات بعضها مـــن الـــبعض الآخر، وبينها وبين الإنسان، وارتفاع العداوة من بين الجميع، كما كان الأمر قبل مقتل هابيل.

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إذا قام قائمنا .. ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام، لا تضع قدمها إلا على النبات، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبعٌ ولا تخافه)[2].

لماذا يتحقق كل هذا للإمام المهدي عليه السلام؟.

والجواب: لأنه شبيه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَلقاً وخُلُقاً، (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المهدي من ولدي اسمه

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٥٧٣.

٢- المصدر السابق ص ٥٧٢.

اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلُقاً)[1].

ومن خصائص الحقيقة المحمدية الضياء والنور، (يقول أنس بن مالك: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم منها كل شيء)[2].

وكذلك سيكون الأمر مع ولده، الحجة المهدي صاحب العصر، سيضيء العالَم بنوره، وسيتعالى بقدسه، وسيزكو ببركته وكماله وجماله، وسوف يتحقق في عصر خلافته عليه السلام، كل ما تطمح إليه الإنسانية، مما تتقبله مهمة الدنيا وقابلية عالَم الإمكان.

ومن المحتمل أن بعض الروايات تشير إلى هذا المعنى، وخاصة الرواية التي تصف لنا الإمام المهدي عليه السلام، بأنه نور في وسط أنوار أهل البيت عليهم السلام، (وذلك عندما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنوارهم في رحلة المعراج، رأى نور المهدي عليه السلام في وسطهم كأنه الكوكب الدرّيّ وسطهم)[3].

## ملامح العصر المهدوي

عندما نقوم بقراءة شاملة لنصوص الأخبار الكثيرة التي تصف ملامح العصر المهدوي، نرى أن هذه النصوص والروايات قد ركّزت على أمرين هامين:

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٢٩٤.

٢- ينابيع المودّة ج٣ ص٦١.

٣- مكيال المكارم ج١ ص ٣٢٨.

الأول: تحقق العدل والأمن

النصوص والأخبار التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته عليهم السلام، تفيد أن هذه الأرض، لن تنعم بالعدل الكامل، ولن يتحقق فيها الأمن العام، إلا في العصر المهدوي، كما جاء: (سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

وبين العدل والأمن تلازم متين وترابط واضح، فحيثما وجد العدل تحقق الأمن، وحيثما تحقق الأمن انبسط العدل، وللأمن فروع كثيرة، ولكن أصله في الذات الإنسانية، ومن فروعه:

١- الأمن الأنفسي: أي أن يأمن الإنسان شرَّ نفسه، فلا يظلمها بالمعاصي والذنوب.

٢- الأمن الأسري: فلا خوف في الأسرة.

٣- الأمن الاجتماعي: فلا يظلم القوي الضعيف، ولا يأكل الغني حق الفقير، ولا يتعدى الوصي على مال اليتيم.

٤- الأمن السياسي: فلا يجور الحاكم ولا يظلم، ولا يتعدى على كرامة الشعب وحريته واختياره.

٥- الأمن الاقتصادي: أي انتفاء الربا والغش في البيع، وارتفاع الاحتكار، وليس في خلافة المهدي تضخم مالي، وتداول المال بين الأغنياء وحرمان الفقراء، بل يرتفع الفقر بكل أنواعه.

٦- الأمن الحيواني: كما سلف وأن مرّ عليك من أن الحيوانات في صلح وتعايش مع بعضها ومع الإنسان.

٧- الأمن الزراعي: حيث لا آفات زراعية، ولا فساد للثمار، بل نموٌّ وجنانٌ معروشات، وذلك بسبب نقاء الهواء، وصفاء الماء، وسلامة الفضاء.

٨- الأمن الجوي: فلا تلوّث ولا سموم، ولا روائح كريهة تنبعث من المصانع والمعامل، أو بسبب السيارات والطائرات، وغير ذلك من ملوثات الجو.

٩- الأمن البحري: فلا تعديَ على البحار برمي أو دفن القاذورات والنفايات فيها، الأمر الذي يؤدي إلى اختلال ميزان الطبيعة بسبب الجشع والطمع.

١٠- الأمن من الجن: وذلك باعتبار ( وجود الملائكة والجان في عسكره عليه السلام، وظهورهم كأنصار له)[1]، ولكونهم ظاهرين عياناً للناس بارتفاع الحجاب.

١١- الأمن من الشرور والأمراض والكوارث: (قال الإمام الصادق عليه السلام: وتزول كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون لنصرته، وتطوى لهم الأرض، ويذلل لهم كل صعب)[2].

وعن قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾، قال الإمام الباقر عليه السلام: (يحييها الله بالقائم عليه السلام، فيعدل فيها،

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٥٧١.

٢- المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة ص ٦٦٤.

فيحيي الأرض بالعدل بعد موتها بالظلم)[1]، و(عن ابن عباس في قوله تعالى "واعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها"، يعنى يصلح الله الأرض بقائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، و "بعد موتها": يعني بعد جور أهل مملكتها)[2]، و (عن الحلبي أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عزّ وجلّ: "واعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها"، فقال عليه السلام: العدل بعد الجور)[3].

الثاني: ظهور الخيرات و نزول البركات

(عن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عليه السلام، قال: يبعث الله رجلاً في آخر الزمان، وكلَبٍ من الدهر، وجهلٍ من الناس، يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره، وينصره بآياته ويظهره على الأرض، حتى يدينوا طوعاً أو كرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافرٌ إلا آمَنَ، ولا طالحٌ إلا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين)[4].

وفي خبر آخر: ( فعند ذلك تفرّخ الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها، وتُمَدّ الأنهار وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعف أُكُلِها، ثم

---

١- ينابيع المودّة ج٣ ص ٨٤.

٢- مكيال المكارم ج١ ص ١٢٩.

٣- مكيال المكارم ج١ ص ١٣٠.

٤- بحار الأنوار ج٥٢ ص ٢٨٠.

يسير، مقدمته جبرائيل وساقتُه إسرافيل، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[1].

وهذه النصوص والأخبار تقوّي ما قلناه سابقاً، من اتّساع حقيقة الدنيا لكي تتناسب مع طورها المهدوي.

والخير في خلافة صاحب العصر شامل وعام، لا يخص طبقة دون أخرى، كطبقة الحكام والوزراء والأمراء، والعلماء ورجال الدين، ممن يستأثرون بالحقوق العامة على أنفسهم ووجاهتهم وشهواتهم وذواتهم، أو على من يرغبون ويهوون، كما هو الحال في صرف الحقوق المالية، أو في صرف الحكام للثروات الوطنية العامة من كنوز الأرض وخيرات البلاد من النفط أو الغاز أو الكبريت وغيرها.

في العصر المهدوي كل هذه الخيرات هي ملك للجميع، وتصرف على كل الموجودات، بل هناك بعض النصوص تؤكد أن الغني يدور بزكاته ويبحث عمن يأخذها، ويطلب من يوصله بآخذها وقبولها فلا يجد أحداً، ولذا تعم الفرحة جميع الموجودات، ويغمر الاطمئنان والاستئناس كل المخلوقات أحياءً وأمواتاً، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه الفرحة في قبره)[2].

### ثالثاً– مقام صاحب الأمر

قسم القرآن الكريم في الكثير من آياته عالَم الإمكان إلى قسمين:

---

١- بحار الأنوار ج٥٢ ص ٢٠٤.

٢- المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة ص ٦٥٥.

١)- عالَم الخلق: وهو عالَم الملك والشهادة والظاهر.

٢)- عالَم الأمر: وهو عالَم الملكوت والغيب والباطن.

قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالَمين﴾[١].

(العالَم: الخلق كله، قال ابن سينا: العالَم بالمعنى العام: مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان، أو مجموع الأجسام الطبيعية كلها، من أرض وسماء، ويطلق العالَم بالمعنى الخاص على جملة موجودات من جنس واحد، كما قال ابن سينا: يقال عالَم لكل جملة موجودات متجانسة، كقولهم: عالَم الطبيعة، وعالَم النفس، وعالَم العقل، ومن قبيل ذلك قولنا: العالَم الخارجي، أو العالَم الحسي، وهو: مجموع الأحوال النفسية المدرَكة بالشعور، والفلاسفة والقدماء يفرقون بين العالَم السفلي، أي عالَم الكون والفساد، والعالَم العلوي، أي عالَم الأفلاك وما فيه من العقول والنفوس والأجرام، فالأول عالَم الملك والشهادة والخلائق، وهو العالَم الذي وُجد بمادّة، والثاني عالَم الملكوت والغيب، وعالَم الأمر عندهم ضد عالَم الخلق)[٢].

و الجملة الأخيرة يوضحها لنا أحد العلماء فيقول: (عالَم الملك: هو عالَم الخلق الذي يقع فيه الانقلاب والاختلاف وتبدل الحالات، وتظهر فيه فاعليات جميع أصناف الموجودات بخلاف عالَم الملكوت وعالَم الأمر،

---

١- سورة الأعراف الآية ٥٤.

٢- المعجم المعين ص ٤٩٣.

فإنهما عالَم البساطة، لا انقلاب فيه ولا اختلاف، ولا تبدل ولا تحوّل)[1]، ويقول في موضع آخر: ( فالمراد بعالَم الأمر:عالَم شيئية الشيء، مع قطع النظر عن تمام إضافاته، ومن ذلك عُلِم وجه تسميته بعالَم المفاتيح وعالَم الملكوت، لأنه مفتاح تمام العوالم ، وله العز والسلطان)[2].

يعتبر عالَم الخلق حلقة صغيرة بالنسبة إلى عالَم الأمر، بل قطرة من البحر، وعالَم الأمر محيط بعالَم الخلق، ومع أن عالَم الخلق هو ما يقع تحت قدرة الحواس وسلطتها، إلا أنه عالَم واسع ولا حدَّ لحدوده وسعته، ولا يمكن أن يستهان به ولا أن يقلل من شأنه، لأنه من آيات الله، ومثال لما فوقه من العوالم المجرّدة، حيث يعتبر عالَم الخلق آخر تنزلات العوالم من مرتبتها العالية، وإلى أن يصل إلى عالَم التصور، أو الصور والتعيينات.

(تصوير الشيء: تنزيله من عالم الإجمال إلى عوالم التفصيل وإعداد استعداداته للتأثير والتأثر، مثل تنزيل النفس إلى القوى، وإعداد القوى لإظهار آثارها)[3].

هذا هو عالَم الخلق، وهو مما لا شك فيه عالَمٌ محيّرٌ ومدهشٌ وعظيم، مع أنه أقل العوالم الوجودية الإمكانية مرتبة، إلا أنه يتمتع بالإبداع، ويتصف بالجمال، وتلمس الغاية منه في كل ذرة من ذراته، وهو عالَم تكتنفه الأسرار وتحيط به الألغاز، وذلك على رغم ظهوره وتعينه وتجسده

---

١- شرح الأسماء الحسنى ص ٢٠٢.

٢- المصدر السابق ص٢٠١.

٣- شرح الأسماء الحسنى ص ١٢٥.

ولبسه الصور، فالعلماء مع باعهم الطويل في العلوم وفي الاكتشافات، لم يفتحوا من أبوابه إلا القليل، وبقيت أمامهم أبواب مؤصدة ومغلقة ومقفلة لا عد لها ولا حصر، فعالَم الخلق فاق كل التوقعات والتصورات البشرية، لأنه عالَم عظيم وإن كان أقل العوالم وأصغرها.

وأما عالَم الأمر، فهو عالَم الدهش والحيرة، هو عالَمٌ فوق الحدود والقياس والحواس، عالَم الإحاطة والتجرد.

ما هو عالَم الأمر؟

(قيل: عالَم الأمر ما لا يدخل تحت المساحة والمقدار)[1]، وقيل: عالَم الخلق عالَم تدريجي، وعالَم الأمر عالَم دفعي، فـ (صاحب الأمر هذا هو ذو نفس مكتفية، والنفس المكتفية محل مشيئة الله وأمره، قائم مقام أمر الله، وبذلك دريت سرَّ كون الإمام صاحب العصر والزمان المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه موصوفاً بصاحب الأمر)[2].

آيات قرآنية في حقيقة الأمر:

١)- ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[3].

٢)- ﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾[4].

٣)- ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾[5].

---

١- كشاف اصطلاحات الفنون ج٣ ص ٣٤٠.

٢- سرح العيون ص ٧٣٨.

٣- سورة الإسراء الآية ٨٥.

٤- سورة التوبة الآية ٤٨.

٥- سورة مريم الآية ٣٩.

٤)- ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[1].

٥)- ﴿فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾[2].

ومن هنا، فإنه تجب طاعة أولي الأمر، كما تجب طاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[3].

ويتصف أولوا الأمر بصفتين أساسيتين وهما:

١- العلم: أي أنهم الأعلم، قال تعالى: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[4].

٢- العصمة: باعتبار أن طاعتهم مظهر طاعة الله عزّ وجلّ، ولو لم يكونوا معصومين لوقع الخلف والتناقض في الآية، وذلك حيث أن الله أمرنا بطاعته وطاعتهم، وإذا أطعنا من ليس بمعصوم، فحيث أمرنا بالمعصية والحرام وقع التناقض، من حيث أمر الله باجتناب المعصية والابتعاد عن الحرام، وحيث أمر بطاعة أولي الأمر مطلقاً- كما هو المستفاد من الآية- وجب- للابتعاد عن هذا المحذور- أن يكون أولوا الأمر معصومين، ولا يدخل في هذا الإطار والمضمون كل من هبّ ودبّ.

(عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنما

---

١- سورة الأحزاب الآية ٣٨.

٢- سورة غافر ٧٨.

٣- سورة النساء الآية ٥٩.

٤- سورة النساء الآية ٨٣.

الطاعة لله عزّ وجلّ وللرسول ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمـــر لأنهم معصومون مطهَّرون، ولا يأمرون بمعصية)[1].

ومقام صاحب الأمر له مظهران أساسيان وهما:

المظهر الأول: القدرة على الحشر الجمعي

(إن معنى أن تُحشَر الأشياء إلى الإنسان، أنه أطاع ربه إلى درجة قد أصبح معها صاحب أمر تكويني لا يخالف المنقول والمعقول، بدليل أن الله تعالى قد جعل له حجة في الأرض، إن العالَم لن يُحشَـــر إلى الله تعـــالى حشراً شرعياً- كما أخبر الله تعالى- إلا بعد أن يُحشَر إلى حجته وبقيته في أرضه)[2]، وقد أخبر الله تعالى أن هذا الحشر قد تحقق لنبيه سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وحُشِر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾[3].

كيف وصل النبي سليمان عليه السلام إلى هذه الرتبة؟

والقرآن الكريم يعطينا الجواب بقوله تعالى: ﴿وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء[4]﴾.

فإذا كان النبي سليمان عليه السلام، قد أعطي مقام القـــدرة علـــى الحشر الجمعي التكويني لأنه ورث أباه النبي داوود عليه السلام، فكيف لا

---

١- علل الشرائع ج١ ص ١٤٩.

٢- التحقق الوجودي ص ١٦٩.

٣- سورة النمل الآية ١٧.

٤- سورة النمل الآية ١٦.

يتحقق هذا المقام بأعلى مراتبه وأكمل مظاهره لمن ورث جميع الأنبيـــاء، وعلى رأسهم النور الأول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن لديه جميع العلوم ومفاتيح الملك والملكوت؟.

بل سيعطى الإمام المهدي عليه السلام، هذا المقام- الحشر الجمعـــي للأشياء- أوسع مما أعطي للنبي سليمان عليه السلام، أولاً، باعتبار أن سعة الإمام المهدي الوجودية أكبر من سعة النبي سليمان عليه السلام، وثانيـــاً، لاختلاف دور الإمام عليه السلام عن دور النبي عليه الســـلام، (وآيـــة "وحشر لسليمان .." تفيد معنى وحقيقة أن يُحشَر هذا العالَم إلى الإمـــام عجل الله تعالى فرجه، بعد أن تبين لنا أن النبي سليمان، قد أوتي من كل شيء، وآية " من كل شيء" لا تعني استثناء شيء من الأشياء، وإنما هـــي تعني الحشر الجمعي للأشياء)[1].

المظهر الثاني: ظهور الحقائق الوجودية

ومن ضمن مراتب هذا الحشر للأشياء، ظهور حقائقها الوجوديـــة، من رتبة الغيب إلى رتبة الشهادة، (عن أبي جعفر عليه السلام: إنما سمّـــي المهدي، لأنه يهدى إلى أمر خفي، حتى أنه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس أن له ذنباً فيقتله، حتى أن أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليـــه الجدار)[2].

و يهدى إلى أمر خفي: أي ينكشف له ما خفي عنهم، من الصـــور

---

١- التحقق الوجودي ص ١٧٠.

٢- تاريخ الكوفة ص ١٠٠ - مكيال المكارم ج١ ص ٢٠٨.

والحقائق الملكوتية للأشياء والموجودات والأعمال والصـــفات، وترتفـــع الحجب وتزول الموانع عن القلوب والعقول، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما سمّي القائم مهدياً، لأنه يهدى إلى أمر مضلول عنه)[1]، ومما يؤكد هذه الحقيقة، حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يكـــون في أمتي فزعة، فتصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير، قد عوقبوا بنظير ما فعلوا من تغيير الحق عن جهته، وتحريف الكلام عن مواضـــعه، مسخ الله صورهم وغيّر خلقتهم، كما بدّلوا الحق باطلاً)[2].

- (وقيل أن إمام الزمان بما أنه الولي، فعند ظهوره تظهر الولايـــة، وتظهر الحقائق وتختفي الصورة، ومازالت المدارس حتى يومنا هذا تدرس عالَم الظاهر، وكانت الحقائق مخفية، ذلك لأن العصر كان عصر النبـــوّة، والنبوّة هي الظاهر، وحيث أن النبوّة تنتهي ويبدأ عصر الولاية، يبدأ معها بيان وظهور الحقائق، فتبدأ المدارس عندها بتدريس حقيقـــة الإســـلام، وحقيقة الصلاة، وحقيقة الصوم، وحقيقة الحج، وحقيقة الجنة وحقيقـــة النار، وحقيقة الثواب، وحقيقة العقاب، وحقيقة الصراط.

عن الشيخ سعد الدين الحموي أنه قال: لن يخرج المهدي عجل الله فرجه حتى يسمع من شراك نعله أسرار التوحيد)[3].

هذه الحقائق لا يحتملها إلا القليل من المؤمنين، الذين محضوا الإيمـــان

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ١٠٤.

٢- المهدي المنتظر ص ٦٥٦.

٣- حقيقة الإمامة ص ٣٨.

محضاً، وربما الحديث الذي يقول: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملَكٌ مقرّب، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، يشير إلى هذه الحقيقة، فحقائقهم وأسرارهم يصعب الوقوف عليها، وإدراكها بـــالقوى العاديّة، بل تحتاج إلى قوىً عقلية وقلبية ووجودية، عاليـــة في القداســـة والرتبة.

# الفصل السادس

# فلسفة الغيبة

# ومراتب الانتظار

لم تسلم حقيقة الإمام المهدي عليه السلام –الحقيقة المهدوية– من التشكيك والطعن والإسقاط، لذا فقد رميت بسهام الجهّال، ونبال أهل الضلال، وعلى الخصوص من جهة أنصاف العلماء، فحظها من هؤلاء كحظ الحقائق العليا، كالحقيقة المطلقة (الحقيقة الإلهية– وجود الله سبحانه)، فكم واجهت هذه الحقيقة من شكوك الزنادقة، وصمدت أمام أراجيف الجاهلين، والتي منها: أين الله؟ و كيف هو؟ و لماذا لا تراه العيون؟ ... إلخ.

عن محمد بن عبد الله الخراساني، خادم الرضا عليه السلام، قال: قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام: لِمَ احتجب الله؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار، قال: فلِمَ لا تدركه حاسة البصر؟ قال: للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار، ثم هو أجلّ من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل، قال: فحُدَّه لي، قال: إنه لا يُحَد، قال: لِمَ؟ قال: لأن كل محدود متناهٍ إلى حد، فإذا احتمل التحديد، احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو –الله– غير محدود ولا متزايد ولا متجزّئ ولا متوهَّم)[1].

(في الكافي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام،... وساق الحديث إلى أن قال: فقال– يعني الزنديق–: رحمك الله، أوجدني كيف هو وأين هو؟

---

١– علل الشرائع ج١ ص ١٤٤.

فقال عليه السلام: ويلك، إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أيَّنَ الأينَ بـــلا أين، وكيّفَ الكيف بلا كيف، فلا يُعرَف بكيفوفيـــة ولا بأينونيـــة، ولا يدرَك بحاسة ولا يقاس بشيء)[1].

وباعتبار أن الإمام المهدي عليه السلام، هو من أعظم حقائق عـــالَم الإمكان، وفي طليعة الحقائق العليا في الوجود، فهي أيضاً لها حظ وافر من الشكوك، ونصيب كبير من الطعون في وجودها، لذا فقد رأينا ممن أصابهم مرض الزهوّ ببعض الألقاب أو الشهادات، أنهم أوقفوا أقلامهم للنيل من أصالة هذه الحقيقة، والتشكيك في جدواها، فأثاروا بعض الأراجيف دعماً لشكوكهم، والتي منها: طول العمر، وبقاء الإمام حياً مئات السنين، أين هو؟ لماذا لم يخرج حتى اليوم؟ وما الذي يؤخره؟ وماذا ينتظـــر لإصـــلاح الكون؟ ...

ويطلق المشككون على من يعتقد بوجود الإمام المهدي عليه السلام، وأنه حي إلى هذه الساعة، أنه من الغلاة، كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، يقول: (غلاة الإمامية وخصوصاً الاثني عشرية منهم، يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم- وهو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونـــه المهدي، دخل في سردابٍ بدارهم بالحلّة، وتغيب حين اعتُقِل مـــع أمـــه وغاب هنالك، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي، وهم إلى الآن ينتظرونه

---

١- شرح الأسماء الحسنى ص ١٨٨.

ويسمونه المنتظر لذلك)[1].

وقد صُفع هؤلاء المشككون مرتين:

الأولى: من جهة الأحاديث والنصوص والأخبار الدالة على أن الإمام المهدي- مع هذا العمر الطويل الذي يمتد به- يخرج على هيئة شابٍّ بين الثلاثين والأربعين سنة.

(عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامة القائم عليه السلام منكم إذا خرج؟ قال: علامته أن يكون شيخ السن شابَّ المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علامته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي عليه حتى يأتيه أجله)[2].

الثانية: من جهة البحوث العلمية، حيث أثبتت التجارب العلمية والبحوث والدراسات المخبرية، أن من الممكن أن يعمّر الإنسان طويلاً، ويبقى مئات السنين.

(ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية قد تأتي مبكّرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة)[3].

ومن التشكيكات أيضاً: هل باستطاعة فرد واحد أن يقوم بهذا التغيير

---

٢- مقدمة ابن خلدون ص ١٨٥.

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٤٧٢.

٢- بحث حول المهدي ص ٥٦.

الكبير والدور العظيم، ويحول العالم والكون كله من الأرض والسماء، من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة؟.

وأعتقد أننا أجبنا على هذا السؤال في الفصول السابقة، من (خلافة المهدي) و (صاحب الأمر)، واللبيب من الإشارة يفهم، وبالإشارة يفهم كل من ﴿ألقى السمع وهو شهيد﴾.

هذا من قبل أسئلة المشككين الجاحدين، ولكن هناك أسئلة من قبل المؤمنين، والتي في طليعتها أمران:

الأمر الأول: متعلق بالغيبة.

الأمر الثاني: متعلق بالانتظار.

وسوف نركز على هذين الأمرين الأساسيين:

الأول- الغيبة، والغاية منها، وبأي أمر تتعلق، ومن المحتاج إليها؟.

الثاني- مراتب الانتظار، ومظاهره، ومن هو المنتظر؟ وتمييز المنتظر الحقيقي عن المزيف "المدّعي للانتظار".

## الأمر الأول- الغيبة

لماذا الغيبة؟ وما هو سببها؟.

جاء في بعض الأخبار أن غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، إنما حصلت لخوفه من القتل.

( عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا بد للغلام من غيبة، فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل)[1].

و ( عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل ظهوره، قلت: ولم؟: قال: يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه، قال زرارة: يعني القتل)[2].

وصريح هذه الروايات وظاهرها، أن الغيبة حصلت بسبب الخوف من قتل الإمام وتصفيته، كما حدث لأجداده وآبائه الطاهرين، ولكن هذا الجواب له جانبان:

- الجانب الظاهري: وهو الخوف من القتل على نفسه، كما جاء في تلك الأخبار.

- الجانب الباطني: وهو الخوف من انتهاء عالم الإمكان بقتله.

ولتوضيح وبيان هذا المطلب نحتاج إلى مقدمات:

---

١٣- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٤٢.

٢- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٤٣.

١- إن الإمام أو النبي (الإنسان الكامل)، هو علة هذا العالَم، وهذا العالَم معلول له.

٢- إن عالم الإمكان إنما هو قائم ومستمر بعلته، ولذلك فهو ينتهي بانتهائها (الإمام — النبي).

٣- بقتل الإمام يتم الانقطاع بين الأرض والسماء، وهذا الانقطاع يؤدي إلى انتهاء الفيض الإلهي، وحصول هذا الانقطاع يعني الفناء لأهل الأرض، الأمر الذي يترتب عليه العذاب.

ويكفي لتأكيد هذه المقدمات، الحديث الذي أوردناه فيما سبق من الصفحات: (لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها).

وليس خوف الإمام من القتل باعتبار أنه يحب البقاء في الدنيا، وأنه يعشق الحياة ويتشبث بها، إذ كيف يُتَصور هذا الأمر في حقه؟ وهو من أهل بيتٍ: ( السجن والقتل لهم عادة، وكرامتهم من الله الشهادة)؟.

ما هو متعلق الغيبة؟

أي ما هو الموضوع الذي وقعت فيه الغيبة؟.

سمعت في يوم من الأيام أحد السادة الفضلاء من أهل العلم، عبر إحدى القنوات الفضائية، يقول: إن غيبة الإمام عليه السلام هي غيبة مضمون (الدور، المعنى)، وليست غيبة شخصية (الجسد — الصورة).

واستدل السيد الفاضل على كلامه بأمرين وهما:

١- الدعاء: دعاؤنا للإمام، بالخصوص (اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن ... إلخ).

٢- أن هناك من رأى الإمام وتبرك بلقائه عليه السلام.

وهذا الكلام مردود جملة وتفصيلاً من حيث الأدلة العقلية والنقلية، والأمر على العكس من هذا تماماً، فالغيبة ليست غيبة مضمون، وإنما هي غيبة جسد، لأن القول بغيبة المضمون، يعني غيبة الدور المقدس، والغاية الكبرى والأهداف العظيمة للإمام (الإمامة)، إلا إذا حصرنا دور الإمام في الحكم وإدارة البلاد، وما أصغره وأحقره من دور، وقد تطرقنا لتوضيح هذه الأهداف سلفاً في الفصل الأول من هذا الكتاب.

وكذلك فإن القول بغيبة المضمون، يعني انتهاء الواسطة بين الخالق والخلق، فمضمون الإمامة أنها العلة الفاعلية، والعلة الغائيّة، والعلة المبقية، والعلة المنمّية، ومظهر الأسماء الإلهية، وواسطة الفيض الإلهي، هذا هو المضمون والدور والمعنى الذي نفهمه من الإمامة، من خلال الروايات والنصوص.

هذا من جهة العقل، وأما من جهة النقل، فإن الروايات تشبه غيبة الإمام بغيبة الشمس، فما الذي يغيب من الشمس؟ قرصها وصورتها، أم مضمونها الذي من صوره الحرارة والدفء والضوء والنور؟، فلقد ورد في الحديث: ( إن الناس تنتفع به في غيبته، كما تنتفع بالشمس إذا غيبتها الغيوم)، فالإمام المهدي عليه السلام، يغيب إذاً عن شيعته بجسمه، كما تغيب الشمس عن الناس بقرصها، تغيب صورته وجسمه، وتبقى أهدافه وغاياته.

وهذا نفسه، هو معنى ما ورد في الدعاء: (عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلق

ولا تُرى، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى)[1].

وإذا كان مقصود السيد بالأهداف والمضمون، إقامة الخلافة الإلهيـــة والدولة الإسلامية، فهذا ليس بغيبة، وإنما هو أمر لم يأت وقته، ولم يحـــن بعد أوانه، لأن هذا الأمر محتاج إلى مجموعة من المقدمات الإعدادية، التي تتعلق بالتغيرات الآفاقية الفضائية والكونية والأرض، كما أشرنا سابقاً.

ولو كانت الغيبة غيبة مضمون أو غيبة دور لساخت الأرض بأهلها، وهذا لارتفاع العلة وانقطاع الغاية، وللزم افتراق أهل البيت عن القرآن، ولم يكن لآية ﴿تتنـــزل الملائكة والروح فيها .. ﴾ أي مضمون، لغياب قلبها وروحها وهو الإمام، إذاً هذا الرأي الذي أبداه السيد الفاضـــل، لا دليل عليه، بل الدليل والبرهان قائم على خلافه.

وأما رؤية البعض للإمام عليه السلام، فهذه الرؤيا لا تقع على حقيقة شخصه المبارك، باعتبار أن الإمام يلبس أجساداً متعددةً كما يشاء ويريد، فيلبس مرة صورة رجل بدوي، وأخرى صورة حاجٍّ من الحجاج ... فلم تقع الرؤية على صورته الحقيقية النورانية كما هي هي.

**الغيبة ليست حاجة مهدوية**

هل الغيبة حاجة مهدوية؟ أم هي حاجة بشرية كونية؟

بمعنىً آخر، هل الإمام عليه السلام هو المحتاج إلى الغيبة كي يستكمل التجربة، ويواكب سير الحضارات، ويلم بنقاط القوة والضعف فيها، كما أشار سماحة السيد محمد باقر الصدر رحمه الله إلى هذا في كتابـــه "بحـــث

---

١- مفاتيح الجنان ص ٦٠٩.

حول المهدي"، وأكد عليه محقق الكتاب د. عبد الجبار شرارة؟.

يقول السيد الصدر: إن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة، والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها، لها أثر كبير في الإعـــداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود)[1].

أما الدكتور عبد الجبار شرارة، المحقق والمعلق على الكتاب المذكور فيقول: (الإمام لا يوحى إليه، نعم يكون مسدّداً، ولذلك هو يحتـــاج إلى إعداد خاص يكون مطّلعاً على التجارب البشرية والحضارات في صعودها وعوامل تكونها وقوتها، وعوامل ضعفها وانهيارها، فيستمد الخبرة والقدرة والإحاطة بالأمور جميعاً)[2].

وهذا الكلام يتناقض مع أصل الإمامة وحقيقتها.

والغريب في الأمر أن أحد الكتّاب قد اعتمد هذا الرأي، وقام على حسب ظنه وتصوره، بإثبات أن الإمام المهدي عليه السلام بحاجة إلى هذه التجربة والتزود من الخبرات البشرية، معتمداً في ذلك على بعض الروايات التي تقول: ( إننا نـــزداد في كل ليلة جمعة ... ) ... ( ولولا أننا نـــزداد لنفذنا )، وهذه الروايات جاءت في الكتب الحديثية، مثل أصول الكـــافي وغيره.

ويمكن لنا أن نوجه هذه الروايات، التوجيه الذي يتناسب مع أصول المذهب ومقام الإمامة، وبذلك نوفق بين هذه المرويّات، وبين ما نعتقـــده

---

١- بحث حول المهدي ص ٧٢.

٢- المصدر السابق حاشية ص ٧٣.

في الإمام.

فكيف نوفق بين هذه المرويات والنصوص، وبين حقيقة الإمامة التي تعني الوصول إلى منتهى الكمال في عالَم الإمكان؟، وكيف يمكننا ردّ هذه الإشكالات من السيد الصدر ومحقق كتابه القيم؟.

إن ذلك ممكن بسهولة، إذا استطعنا أن نفسر معنى الزيادة الواردة في المرويات المتقدمة بما يوضح المسألة، وذلك على الشكل التالي:

١- إن الزيادة المقصودة في الروايات، زيادة من قبل الله تعالى وليس من قبل المخلوقين، وبالطبع هناك فرق بين الأمرين.

٢- الزيادة هنا هي زيادة التحير في الله، كما جاء في بعض الأدعية المروية عنهم، وهي قولهم عليهم السلام: (اللهم زدني فيك تحيّراً)[1]، وجاء (في البصائر مسنداً عن الحسن بن العباس بن حريش، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قلت: جعلتُ فداك، أي شأن؟ فقال عليه السلام: يؤذَن للملائكة والنبيين، والأوصياء الموتى، وأرواح الأوصياء الأحياء، والوصي الذي بين ظهرانيكم، فيُعرَج بها إلى السماء، فيطوفون بعرش ربهم سبعاً وهم يقولون: سُبّوحٌ قدّوسٌ، رب الملائكة والروح، حتى إذا فرغوا صلوا خلف كل قائمة له ركعتين، ثم ينصرفون، فتنصرف الملائكة لما وضع الله فيها من الاجتهاد، شديداً إعظامهم لما رأوا، وقد زيد في اجتهادهم وخوفهم مثله، وينصرف النبيون والأوصياء وأرواح الأحياء شديداً حبهم، وقد فرحوا أشد الفرح

---

١- هدي العقول ج٨ ص ١٦٠.

لأنفسهم، ويصبح الوصي والأوصياء قد أُلهموا إلهاماً من العلم علماً جمّاً، مثل جمِّ الغفير، ليس شيءٌ أشد سروراً منهم)[1].

(ومعلوم أن هذا الاجتماع والموافاة عند العرش الأولي والثاني، مما يزيد في حالهم وأمرهم، وهو أيضاً في نفسه عظيم وله خطب جليل، ولا خفاء في أن لهم عليهم السلام شأناً عظيماً- أي حالاً- بحسب ذواتهم الأمرية والجبروتية والملكوتية)[2].

٣- الزيادة المقصودة هي في القرب الإلهي، أي قربهم من الله سبحانه وتعالى.

٤- إن الروايات في هذا الشأن يراد منها الإشارة إلى مخلوقيتهم وبشريتهم، حتى لا يتوهم البعض أنهم آلهة، أو أرباب من دون الله تعالى، ﴿بل عبادٌ مكرَمون﴾.

هذا من جهة، ونستطيع- من جهة أخرى- أن نجيب بأن للإنسان جهتين:

- جهة نحو العوالم الإمكانية والمتناهية.
- وجهة نحو المطلق اللامتناهي.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، قد وصلوا إلى منتهى الكمال الإنساني من الجهة الأولى، من حيث العلم والمعرفة والإحاطة، وهذا الجانب لا يمكن أن يتصور فيه الزيادة، وذلك لعدة

---

٢- هدي العقول ج ٨ ص ١٥٧.

١- المصدر السابق ص ١٧٠.

براهين عقلية ونقلية.

فمن البراهين العقلية:

أ- أنهم العلل الفائضة على كل الموجودات، كل على حسب قابليته واستعداده، والمعلول فقير إلى علته، والعلة غنيةٌ عن معلولها.

ب- لو فرض لهم الاحتياج إلى غيرهم، والتزود من الغير الذي هو المأموم، لأصبح الإمام محتاجاً إلى الغير، والاحتياج إلى الغير منقصة، والمفروض خلافه.

ج- يلزم من الاحتياج، أن يكون الإمام مأموماً، والمأموم إماماً، واللازم باطل، فالملزوم مثله.

هذا من جهة العقل.

ويقول العلامة المحقق العارف، السيد حسين الهمداني الدرود آبادي رضي الله عنه: ( فالأخبار الدالة على أن عندهم علم ما كان وما يكون، فهي ناظرة إلى إحاطة نفوسهم عليهم السلام بكل شيء، إحاطة البحر لقطرات غير متناهية.

والأخبار الدالة على حدوث العلم لهم في ليالي القدر وليالي الجمعات وساعة فساعة، والأمر بعد الأمر، فهي ناظرة إلى مرتبة إيقاع تلك الصفة النفسانية على المعلوم، ولما كان لوصول الأشياء من عالَم ملكوتها إلى عالَم الأعيان سبعة منازل، لا يمكن تنزّلها إلى عالَم الأعيان إلا بعد سير هذه المنازل السبعة، وجعل الله لتنزّلها مواقيت معينة، فجعل لحججه عليهم السلام ليالي القدر للاطّلاع على تنزّل أمور السنة إلى عالَم المشيئة، وإلى

عالَم الإرادة، وإلى عالَم القدر، وللاطّلاع على تنـــزّلها إلى عالَم القضايا الجمعات، وللاطّلاع على تنـــزّلها إلى عالَم الإذن الأيام، وللاطّلاع على عالَم الأجل الساعات، وللاطّلاع على وصول الأشياء إلى عالَم الأعيـــان الآنات، كما ورد بزيادة علومهم عليهم الســـلام في تلـــك الأوقـــات أخبار)[1].

وأما من جهة النقل فهناك أحاديث كثيرة، في طليعتها:

- عُلِّمْنا ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

- علَّمَني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب.

- لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً.

وما يجري لأولهم يجري لآخرهم، فلا يقال هذا خاص لفـــلان دون غيره.

إذاً، فتعليل الغيبة بأنها لأخذ التجربة وتعميق الخبرة، والنظر في سير الحضارات ومواكبتها، للاطّلاع على نقاط القوة والضعف- كما يقـــول بذلك سماحة السيد الصدر "قدس سره"، في كتابه "بحث حول المهدي"، وللاطّلاع على التجارب- كما يقول محقق الكتاب الدكتور شرارة-، هو قول عليل وليس بمتين، ولا يصمد أمام حقيقة الإمامة والولاية، فمقـــام الإمامة مقام الإحاطة، ومقام الولاية مقام الكمال والقدرة والعلم.

فعلة الغيبة إذاً ليست لاستكمال نواقص في الإمام- كنقص التجربة

---

١- شرح الأسماء الحسنى ص ١٣٧.

والخبرة والاطّلاع-، وإنما هي لاستكمال النواقص في الجانب الإنساني والبعد البشري من جهة، واستكمال نقص في الجانب الكوني من جهة ثانية، فالكون والبشر هما سبب هذه الغيبة، وليس الإمام عليه السلام.

ومن ثمة فإن كلام الدكتور عبد الجبار أن: (الإمام لا يوحى إليه)، كلام مردود، لأنه يتناقض مع روح القرآن، وأدلة روائية عن أهل البيت عليهم السلام، وأتصور أن هذا الكلام، إنما صدر منه فراراً من بعض الانتقادات التي يمكن أن تثار على المذهب، من مثل أن الشيعة تعتقد النبوّة في أئمتهم، إذ يظن البعض أن الوحي خاص فقط بالأنبياء والرسل، وعليه فإن الاعتقاد أن الإمام يوحى إليه يعتبر غلواً عند هذا البعض، ولكن أين هؤلاء من القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى .. ﴾[1]، ويقول: ﴿وأوحى ربك إلى النحل ...﴾[2].

فهل أم موسى وهل النحل في مرتبة الأنبياء والرسل؟ فمرتبة الإمام المهدي عليه السلام ومقامه ليس فقط فوق مرتبة ومقام أم موسى، بل فوق مرتبة النبي موسى عليه السلام نفسه، بل والأنبياء جميعاً باستثناء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأوصيائه الطاهرين عليهم السلام.

وأما من الجانب الروائي، فـ (عن أبي جعفر عليه السلام: يملك القائم ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً، كما لبث أهل الكهف في كهفهم، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. ويدعو الشمس والقمر

---

١- سورة القصص الآية ٧.

٢- سورة النحل الآية ٦٧.

فيجيبانه، وتطوى له الأرض، ويوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله)[1].

ومما يؤكد هذا، كثير من الروايات التي تقول أن أمين الوحي جبريل يكون أول من يبايع الإمام عليه السلام ويتبعه، ويكون تحت لوائه، ويأتمر بأمره.

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ١٩٧.

## فلسفة الغيبة؟

### أولاً- الغيبة بلاء وامتحان

جاء في الدعاء: (اللهم عظُم البلاء، وبرّح الخفاء، وانكشف الغطاء، وضاقت الأرض ومنعت السماء)[1].

البلاء نوعان: بلاء ظاهر وبلاء خفي، والغيبة من النوع الثاني، وهذا النوع من البلاء هو الأخطر، من حيث خفاؤه وعدم الشعور به.

والبلاء له دوائر مختلفة، وهي:

الدائرة الأولى- البلاء الشخصي والفردي، ومثاله أن يصاب الإنسان بمرض أو فقر أو فقد الأحبة من الأولاد والأهل.

الدائرة الثانية- البلاء الجماعي، مثل ابتلاء الناس بالحاكم الظالم، أو أمراء الجور.

الدائرة الثالثة- البلاء الإنساني، كابتلاء الإنسانية بالأمراض الفتاكة، أو الحروب المدمّرة، أو المجاعة الشاملة، أو الكوارث الطبيعية، من الزلازل والبراكين والسيول المدمّرة والفيضانات ... إلخ.

الدائرة الرابعة- البلاء الكوني الذي يعم الكون، ويشمل الموجودات، وأقرب نوع ومثال لهذا البلاء هو الغيبة، غيبة الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه، وهذا البلاء ليس مختصاً بجهة ولا محصوراً بنوع أو جنس،

---

١- مفاتيح الجنان ص ٦٠٦.

بل هو بلاء عام وشامل، يشمل كل الكائنات، ويعم كل الموجودات، أي (عالَم الإمكان)، والكل ينتظر ظهوره كيما تظهر معه حقائق الموجودات، وتحقق بخروجه كمالها.

وقد بكى الغيبة حتى الأئمة الأطهار عليهم السلام، لأنها بلاء عظيم، وأيما بلاء هذا الذي أبكى الإمام الصادق عليه السلام.

(روي عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمرو، وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، فرأيناه جالساً على التراب، وعليه مسح خيبري مطوَّق بلا جيب، مقصَّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله، كالثكلى ذات الكبد الحرّى، وقد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغير على عارضيه، وأبلّت الدموع محجريه، وهو يقول: سيدي، غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وأسرت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقأ في عيني، وأنين يفتر من صدري، عن دوارج الرزايا، وسوالف البلايا.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدعت قلوبنا جزعاً، وظننا أنه سمة لمكروهة قارعة، أو حلت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك، لأي حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك؟ وأي حالة حتّمت عليك هذا المأتم؟.

فزفر الصادق عليه السلام زفرة وقال: إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا،

وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خص الله تقدّس اسمه بـــه محمداً والأئمة من بعده عليه وعليهم السلام، وتأملت فيه مولـــد قائمنـــا وغيبته، وإبطاءه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمـــان، وتولـــد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم، التي ألزمهم الله تعالى إياها، فأخـــذتني الرقـــة، واستولت عليَّ الأحزان)[1].

أقول: وعند قراءتي لهذا الخبر، انكسر قلبي وجرت عبرتي، وقلـــت: سبحان الله، إمام معصوم يتفجّع من طول الغيبة، ويخاطب الإمام المهدي قبل مولده الجسماني: "سيدي"، إذا كان الإمام يخاطبه: سيدي، فبمـــاذا نخاطبه نحن؟.

ومن هنا أصبح زمن الغيبة هو زمن الغربلة والامتحان والتمحـــيص، ولا يثبت على ولايته وإمامته إلا القليل، قال رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم: (يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامتـــه إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان)[2].

وهناك بعض الروايات والأحاديث التي تشير إلى أن السبب في هذه الغيبة هو سوء الأعمال والأفعال، ومن هذه الأحاديث:

- (في توقيع الحجة عجل الله فرجه إلى الشيخ المفيد: ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لمـــا

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٦٤٣.

٢- المهدي المنتظر ص ٢٥٨.

تأخر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة لمشاهدتنا، على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان)[1].

- ( وفي قضية علي بن إبراهيم بن مهزيار ... ثم قال: ما الذي تريد يا أبا الحسن؟ قلت: الإمام المحجوب عن العالَم، قال: ما هو المحجوب عنكم، ولكن حجبه سوء أعمالكم)[2].

## ثانياً- الإعداد الوجودي لاستقبال المهدي

إذا نظرنا بكل إمعان وعمق إلى هذا الوجود المترامي الأطراف، نرى أن الغيبة تشكل ضرورة من ضروريات الحياة للموجودات والمخلوقات، بل إن الغيبة تعتبر من أساسيات الوجود.

كيف ذلك؟.

وماذا نقصد بهذا؟.

ولماذا الغيبة ضرورة للحياة؟.

إذا نظرنا إلى الموجودات نراها تتلبّس أحد أمرين:

الأمر الأول: الغياب والحضور.

الأمر الثاني: الظهور بلا غياب.

فالغيبة ليست من مختصات الإمام المهدي فقط، بل هي تجري على حقائق كثيرة، وإن كانت غيبة هذه الحقائق غيبة نسبية، ويكون لها غياب

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ١٨٤.

٢- المصدر السابق ص ١٨٩.

وظهور، إلا أن الأمر لا يخلو من اعتبار بأهمية الغيبة وفلسفتها، وأنا هنا أشير إلى نموذجين مهمين:

الأول- الغيبة في المجال الكوني: ومن أوضح المصاديق لهذه الغيبة في الجانب الكوني، غيبة الشمس والقمر، وغيبة الشمس تنقسم إلى: غيبة صغرى، مثل غيبتها في الليل، وغيبة كبرى مثل غيبتها في الشتاء، عندما تغيبها السحب والغيوم، ومن المحتمل أن يكون هذا المعنى، هو المراد من الحديث المشهور:

( عن جابر الجعفي عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إي والذي بعثني بالنبوّة، إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب)[1].

ويقول العلامة المجلسي قدس سره معلقاً على هذا الحديث: التشبيه بالشمس المجللة بالسحاب يومي إلى أمور:

١)- أن نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام، إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم.

٢)- كما أن شعاع الشمس يدخل البيوت بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك ينتفع الخلق بأنوار هدايتهم عليهم السلام، بقدر ما يرفعون من الموانع عن حواسهم

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٤٤.

ومشاعرهم، التي هي روازن قلوبهم، من الشهوات النفسانية والعلائق الجسمانية، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية، إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء، يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب)[1].

والغيبة والظهور في الجانب الكوني والطبيعي، هو مما أعطى الحياة طعمها ولذّتها، فغياب الشمس والقمر وظهورهما، وغياب وظهور الشتاء والصيف والربيع، وكذلك الأزهار والثمار والخضار، ولولا هذه الحركة من (الغياب والظهور)، لأصاب الحياة الشلل والملل، ولكن بهذه الصورة تتجدد في كل وقت.

الثاني- الغيبة على الصعيد الاجتماعي: كغياب الأهل عن بعضهم في أوقات معينة، وكم لهذا الغياب من الفوائد الكبيرة والثمار الطيبة على الصعيد الأسري، وكم له من آثار جميلة من حيث المحبة على الصعيد الاجتماعي، والسفر خير مثال على هذا، فعندما يسافر الإنسان ثم يرجع إلى أسرته وأصدقائه، نرى ونلاحظ مدى الاحتفاء به من قبل هذه الأسرة وهؤلاء الأصدقاء، لذا جاء في الأثر: (زُرْ غِبّاً تزدد حبّاً)، وجاء عن الإمام علي عليه السلام: (ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا)[2].

وكلمة الإمام عليه السلام ناظرة إلى أمرين:

١- بقاء شوق الأسرة الواحدة إلى بعضها، إذا ما كان هناك غياب

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٤٤-٣٤٥.

٢- سجع الحمام ص ٤٧٨.

بسبب بعد المساكن.

٢- الابتعاد عن أسباب العداوة والبغضاء، والتي غالباً ما تحصل من الصغار، فتنعكس مشاكلهم على الكبار.

وكذلك، فإن غيبة الإمام المهدي عليه السلام لها آثار عميقة، ومن أهم هذه الآثار، الإعداد الوجودي بكل مظاهره وصوره ومراتبه، من صورة ومرتبة الجوارح، إلى صور ومراتب النفس والروح والعقل، لتقبُّل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وأن ظهوره هو الحل الوحيد لجميع هذه الأزمات والمعضلات، ولكي تقنع البشرية أن ليس لها غنىً عن اختيار السماء وتسديدها، وأن الإنسانية ليست قادرة على أن تعيش في منتهى السعادة والرخاء من دون إرشاد السماء وتوجيهها.

إننا نسمع من بعض المتخلفين عقليا ومنطقيا قولهم: لسنا بحاجة إلى الدين، بل نكتفي بالعلم والحضارة ونستغني بما لدينا من الخبراء وصانعي القرار العالمي، ولهذا أنشئت الأمم المتحدة ومجلس الأمن، الأمم المتحدة التي لا وحدة فيها، ومجلس الأمن الذي يفتقر هو إلى الأمن، وأحسب أن عورات هذه المؤسسات قد انكشفت للجميع، وأن مساوئها قد ظهرت بشكل واضح بل فاضح، وليس على ظهر الأرض عاقل لم تنكشف له مساوئ هذه المؤسسات الغاشمة الظالمة، وليس ذلك إلا بسبب تحيّزها إلى القوى العظمى من جهة، ولأنها ألعوبة بيد القوى الصهيونية تحركها كيف تشاء من جهة ثانية.

وعندما تستنفذ البشرية جميع الحلول، وكل الأطروحات والتصورات

والتجارب، ويأخذ الوضع منحىً تصاعدياً خطيراً، من اتّساع المنكرات، وانتشار الأمراض، وتتحول الأرض مسرحاً للجرائم والحروب والقتل، وتمر بالإنسانية أزمات صعبة على جميع الأصعدة، السياسية والاقتصادية والأخلاقية والقيمية، وتعيش أوضاعاً خانقة، ينمو الاستعداد لدى الناس للقبول بحقيقة المخلّص العالمي والمنقذ الرباني، وتطلب عودة الخلافة الإلهية التي طالما وقفوا حائلاً دون تحققها وتجسّدها، ودفعوا عنها مصاديقها الحقيقيين، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، فيأتي أمر الله "ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً".

وهذا بعد أن تجرّب المجتمعات والحضارات كل ما تستطيع أن تقوم به وتمارسه، بما في ذلك الإباحية والشذوذ الجنسي، بكل أنواعه وأشكاله وصوره، وهذا ما أشارت له بعض النصوص وصنفته باعتباره من علامات الظهور.

(عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب،ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عُمر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه، فقلت له: يا بن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور ورُدّت شهادات العدل، واستخف الناس بالدماء، وارتُكب الزنا، وأُكل

الربا)[1].

والمتتبع لأحوال العالَم، والمطّلع على سير المجتمعات، يرى أن هـــذه العلامات في تحقق سريع وانطباق واضح على الواقع، والتي منها اكتفـــاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وقد تحقق هذا بالفعل، وأخذ وضـــعه الرسمي في بعض الدول، وقد قام بتتويج هذا العمل المشين والهابط بعـــض الوزراء والسفراء في دول أوروبية، ومن هذا القبيل ما ينقل أنه:

- ( تزوّج وزير المالية النرويجي الحالي صديقه، متوّجاً بذلك علاقـــة جنسية لوطية سابقة وحميمة، معتبراً الأمر عادياً جداً ومهماً للغاية، ومثيراً، وأنه ذو صلة بالغريزة والحرية)[2].

- (تزوج وزير الصحة الدانمركي -٤٩ عاماً- من شاب آخر مماثل له في الجنس عمره ٢٨ عاماً، وذلك بحضور حشد كبير مـــن الأصـــدقاء والسياسيين والاجتماعيين)[3].

- (شهدت العاصمة الهولندية بتاريخ نيســـان ٢٠٠١ م، أول زواج رسمي بين الشواذ في العالَم، حيث تم تزويج سيدة من سيدة أخرى، وستة رجال من بعضهم البعض)[4].

و قد كانت هذه الممارسات- حتى عهد قريب-، تعد من القبـــائح

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٤١٠.

٢- ما قبل نهاية التاريخ ص٢١٢.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق ص ٢١٣.

والجرائم، التي يعاقب عليها القانون أشد العقاب، وينكّل بفاعلـــها أشـــد التنكيل، بينما باتت تعتبر اليوم دليلاً على تحضر فاعلها وتحرر مرتكبـــها، وأصبحت أيضاً مقبولة في الأوساط الاجتماعية والرسمية على حد سواء.

ومن المؤسف أن تنقاد بعض الدول الإسلامية وراء الغرب وأوروبا، رغبة منها في تحقيق الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي الذي يشترط على هذه الدول، أن تثبت حسن تبعيتها لقوانين هذا الاتحاد، وإن تعارضت هـــذه القوانين مع الهوية الإسلامية، وبالفعل، فقد قامت بعض الدول الإسلامية بإبداء استعدادها للتخلي عن بقايا هذه الهوية، فألغت عقوبة جريمة الزنا، وشطبت عقوبة جريمة شرب الخمر من قوانينها، ولاتزال الإملاءات عليها مستمرة ومتواصلة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم﴾[1]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ).

نعم، وسترتفع رايته عالياً بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه وفرجنا به، وذلك بعد أن تضيق الأرض بفساد أهلها، وجرائم أناســـها، وتصل المجتمعات إلى درجة الغليان من هتك الحرمات، فعندها انتظـــروا الفرج وتوقعوا الظهور، الذي تنتهي به كل مظاهر الاحتقان.

بعض الروايات في هذا المطلب:

---

- (عن منصور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياسٍ، لا والله حتى تُمَيّزوا، لا والله حتى تُمَحّصوا،

---

١- سورة البقرة الآية ١٢٠.

لا والله حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)[1].

- (عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر، قال: يا بني، إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن بها خلقه)[2].

- ( عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات، لا يكون فرجنا حتى تُغَربَلوا ثم تُغربَلوا ثم تُغربَلوا حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو)[3].

-(عن صفوان بن يحيى قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: والله ما يكون ما تكدون أعينكم إليه، حتى تُمحَّصوا وتُميَّزوا، وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر فالأندر)[4].

-(عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه سمعه يقول: ويل لطغاة العرب من شرٍّ قد اقترب، قلت: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال: شيء يسير، فقلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير، فقال: لا بد للناس أن يمحَّصوا ويُميَّزوا ويُغربَلوا، ويخرج في الغربال خلق كثير)[5].

-(الحسن بن سليمان تلميذ الشهيد رحمة الله عليهما قال: روي أنه

---

١- بحار الأنوار ج٥٢ ص١١١.

٢- المصدر السابق ص ١١٣.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق ص ١١٤.

٥- المصدر السابق.

وُجِد بخط مولانا أبي محمد العسكري عليه السلام ما صورته: قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوّة والولاية، وساق الحديث إلى أن قال: وسيسفر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران، لتمام " ألم " و " طه " و "الطواسين" من السنين)[1].

وهذا ما أشرنا إليه من أن الأئمة عليهم السلام مقامهم مقام المنتهى من الكمال الإنساني: " قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية "، ويظهر أن جملة: " وسيسفر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران "، تتحدث عن ثمار الخلافة المهدوية، من حيث: حياة الأرض وإشراقها، ومن حيث ارتفاع الموجودات إلى رتبة من الحياة غير ما كانت عليه في السابق، بما في ذلك الجماد أيضاً، والله أعلم.

## ثالثا- عشق الحقيقة المهدوية

لطيفة:

(قال ناس لأحد العارفين: إن الشمس مع حسنها الباهر، لم نسمع أن أحداً عشقها، فقال: بسبب أنها في كل يوم تمكن مشاهدتها، إلا في الشتاء فإنها تكون محجوبة ومحبوبة)[2].

قلنا سابقاً أن فلسفة الغيبة أنها بلاء وامتحان خفي، وإعداد الوجود لاستقبال المهدي عجل الله تعالى فرجه، ونأتي الآن إلى جانب آخر من فلسفة الغيبة، وهي: تحريك العشق نحو التعلق بالحقيقة المهدوية، فالغياب

---

١- بحار الأنوار ج٥٢ ص ١٢١.

٢- روضة الورد- كلستان سعدي الشيرازي ص ١٢٤.

يحرك المحبة في أعماق النفس، والشوق تجاه الغائب، وعلى الأخـــص إذا كان الغائب يتمتع بمزايا وصفات لا يتمتع بها الحاضر الشاهد.

وهنا يثار سؤال عميق:

ما الفائدة من إمام غائب؟

وهل ثمة فرق بين الغيبة وعدم الوجود؟

نعم، ثمة فوارق جوهرية وجذرية كبيرة وعميقة بين أن يكون الإمام موجوداً ولكنه غائب، وبين عدم وجوده ألبتة، ومن هذه الفوارق:

١)- الضرورة التكوينية والتشريعية، فلقد كنا أشرنا سابقاً أن الإمام هو من يحفظ الدين من الزيادة والنقصان، ويمسك بالكون ويحفظه مـــن الانهيار.

٢)- التلازم بين القرآن والإمام وعدم افتراقهما، فإنهما لن يفترقـــا حتى يردا الحوض، كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وآلـــه وسلم.

٣)- عرض الأعمال على الإمام، قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، والمؤمنون المقصودون هنا في هذه الآيـــة المباركة، هم أهل البيت عليهم السلام.

٤)- نـــزول الملائكة على الإمام، وعدم انقطاعها عنه: ﴿تتنـــــزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾.

وأما العمر الطويل فلم يعد مشكلة مستعصية، بعد ثبوته لغير الإمام عجل الله فرجه، فهذا الأمر محلول فلسفياً وعلمياً.

أما فلسفياً، فليس أدل على إمكان تحقق الشيء من وقوعه، فإذا ثبت أن غير الإمام تمتع بهذا العمر الطويل، فما هو المانع أن يكـــون هـــذا في الإمام أيضاً؟ وخصوصاً أنه تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام.

وأما علمياً، فقد أثبت العلم أن بإمكان الإنسان أن يعـــيش مئـــات السنين، بشرط معرفته بطرق الصحة، والالتزام بالتوازن الغذائي في المأكل والمشرب، والوقاية من الأمراض، ولقد ثبت أن "شيخ الأنبياء" النبي نوح عليه السلام، قد عاش ٢٥٠٠ سنة، وقيل ٣٥٠٠ سنة، بل إن الغاية من طول عمر بعضهم، الاستدلال ببقائه وطول عمره، على بقـــاء الإمـــام المهدي كما هو واضح في العبد الصالح الخضر عليه السلام.

(عن الصادق عليه السلام أنه قال: وأما العبد الصالح الخضر عليـــه السلام، فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب ينـــزّله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إن الله تبـــارك وتعالى لما كان في سابق علمه، أن يقدر من عمر القائم عليه السلام مـــا يقدّر من عمر الخضر، وما قدّر في أيام غيبته ما قدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب يوجب ذلك، إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام، وليقطع بذلك حجة المعاندين، لئلا يكون للناس على الله حجة)[1].

وفي رواياتنا أن الخضر عليه السلام ملازم لأهل البيت عليهم السلام

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٢٥٠.

جميعاً، وفي بعض الأوقات يرسله الإمام في بعض المهام، (عن داوود الرقّي قال: خرج أخَوان لي يريدان المزار، فعطش أحدهما عطشاً شديداً، حتى سقط عن الحمار وسقط الآخر في يده، فقام فصلى ودعا الله ومحمداً وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، وكان يدعوهم واحداً بعد واحد حتى بلغ إلى آخرهم جعفر بن محمد عليه السلام ، فلم يزل يدعوه ويلوذ به، فإذا هو برجل قد قام عليه وهو يقول: يا هذا ما قصتك؟ فذكر له حاله، فناوله قطعة عود وقال: ضع هذا بين شفتيه، ففعل ذلك فإذا هو قد فتح عينيه واستوى جالساً ولا عطش به، فمضيا حتى زارا القبر، فلما انصرفا إلى الكوفة، أتى صاحب الدعاء المدينة فدخل على الصادق عليه السلام، فقال له: اجلس ما حال أخيك؟ أين العود؟ فقال: يا سيدي إني لما أُصبت بأخي، اغتممت غماً شديداً، فلما ردّ الله عليه روحه، نسيت العود من الفرح، فقال الصادق عليه السلام: أما إنه ساعة صرتَ إلى غم أخيك، أتاني أخي الخضر فبعثت إليك على يديه قطعة عود من شجرة طوبى، ثم التفت إلى خادم له فقال: عليَّ بالسفط، فأتى به، ففتحه وأخرج منه العود بعينها، ثم أراها إياه حتى عرفها ثم ردّها إلى السفط)[1].

(وبين الإمام المهدي عليه السلام والعبد الصالح الخضر عليه السلام نقاط التقاء، منها:

١- إن الخضر لا ينزل في أرض إلا اخضرّت واعشوشبت ونبع فيها الماء، وإذا هو ارتحل عنها غار الماء، وعادت الأرض كما كانت،

---

١- مكيال المكارم ج ١ ص٢٤٩.

وكذلك المهدي عليه السلام.

٢- إن الخضر أعطاه الله تعالى من القوة أنه يتصوّر كيف يشاء، وكذلك المهدي عليه السلام.

٣- إن الخضر كان مأموراً بعلم الباطن، ولهذا قال لموسى: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾، وكذلك المهدي عليه السلام)[1].

(عن ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين لم يقاتل مخالفيه في الأول؟ قال: لآية في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾، قال: قلت: وما معنى تزيّلهم؟ قال: ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم عليه السلام، لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عزّ وجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ جلاله فقتلهم)[2].

( عن ابن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كونوا كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا ويستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى

---

١- مكيال المكارم ج١ ص ٢٥١.

٢- بحار الأنوار ج٥٢ ص ٩٧.

لا يبقى منكم أو قال من شيعتي، إلا كالكحل في العين والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام، فنقّاه وطيّبه ثم أدخله بيتاً، وتركه فيه ما شاء الله ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقاه وطيبه ثم أعاده إلى البيت، فتركه ما شاء الله ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصاب طائفة منه السوس، فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر، لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم، تُميَّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً)[1].

---

١- بحار الأنوار ج٥٢ ص ١١٥.

## الأمر الثاني– مراتب الانتظار

بعد الحديث عن فلسفة الغيبة التي هي شأن من شؤون الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، يأتي الحديث عن صفة من الصفات الخاصة، يمتاز بها شيعة أهل البيه عليهم السلام في زمن الغيبة، وهي صفة الانتظار.

من ألقاب الإمام المهدي عليه السلام: "المنتظَر"، (والمنتظَر: تعني من ينتظر الخلائق كافّةً مقدمه المبارك)[1].

### ما ذا يعني الانتظار؟

(الانتظار مشتق من فعل نظر، وهذا الفعل أو هذه الكلمة لها عدة صور، منها: انتظره: أي تأنّى عليه، التنظُّرُ: أي توقع ما ينتظره، النظارة: القوم ينظرون إلى الشيء، والمنظار: المرآة، والنظائر: الأفاضل والأماثل، والنظيرة: الطليعة)[2].

وهذه الاشتقاقات كلها– أو جميعها–، تعطي معنىً عميقاً للانتظار، وصفة الانتظار هنا تعني كل هذه الأبعاد:

١)– التأني، والتأني ضد العجلة أو التعجّل، وهذا يعني أن لا تتعجل الأمر.

(عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾، فقال: يا فضيل اعرف

---

١– منتهى الآمال ج٢ ص ٥٦٦.

٢– القاموس المحيط ص ٦٢٣.

إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرّك تقدّمَ هذا الأمر أو تأخّرَ، ومن عرَف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنـــزلة مـــن كان قاعداً في عسكره، ، لا بل بمنـــزلة من كان قاعداً تحت لوائه)[1].

(عن عمرو بن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه الســـلام يقـــول: اعرف العلامة، فإذا عرفت لم يضرك تقدّمَ هذا الأمر أو تأخّرَ، فمن عرَف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظَر)[2].

٢)- توقع ما ينتظره: أي أن يكون المنتظِر للإمام عليه السلام، على درجة من اليقين بخروج إمامه، وتحقق الخلافة الإلهية العظمى والكلية على يديه، واليقين ينبع من المعرفة بحقيقة الإمامة والولاية والخلافة.

(عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اعرف إمامك، فإنك إذا عرفته لم يضرّك تقدّمَ هذا الأمر أم تأخّرَ)[3].

٣)- القوم ينظرون إلى الشيء: الإمام بالنسبة لهم أظهر الموجودات الإمكانية على الإطلاق، يقول الإمام السجّاد عليه السلام: (يا أبا خالد، إن أهل زمانه القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهـــل كـــل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام، ما صارت بـــه الغيبة عندهم بمنـــزلة المشاهدة)[4]، والمشاهدة: أي أنهم ينظرون إليه ويرونه

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٧٩.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق ص ٣٧٩.

٤- المصدر السابق ص ٣٦٤.

فهو عندهم أظهر الحقائق.

٤)- المرآة: لأنهم- أي المنتظرون- يعكسون بأعمالهم وأخلاقهم الحسنة صورة إمامهم، ومن لم يعمل بالورع وبمحاسن الأخلاق لا يعتبر من المنتظرين.

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم، فلينظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة)[1].

٥)- الأفاضل والأماثل: وهذه قريبة مما سبق، فالأفاضل: باعتبار قول الإمام عليه السلام عنهم: (خُلقوا من فاضل طينتنا)، والأماثل: من قوله تعالى في الحديث القدسي: [ عبدي أطعني تكن مثلي ].

ومن هذا الأصل النُّوري، يكون لأتباع أهل البيت عليهم السلام، تقدير ومحبة من قبل كل الموجودات، باختلاف مراتبها.

(عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلا وهو مطيع لهم، حتى سباع الأرض وسباع الطير، تطلب رضاهم في كل شيء، حتى لتفخر الأرض على الأرض وتقول: مرَّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم)[2].

ولم يكن ذلك كذلك، إلا لأنهم الأفاضل والأماثل في الحقيقة وواقع

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٧٨ .

٢- المصدر السابق ص ٤٩٩.

الأمر.

٦)- الطليعة: الطليعة من كل مجتمع: هم خيرة المجتمع.

( السندي عن جده قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول فيمن مات على هذا الأمر منتظراً له؟ قال: هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه، ثم سكت هنيهة ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

فالانتظار إذاً يعني كل هذه الأبعاد: أن لا نتعجّل الأمر، وأن نكون متيقنين من وقوعه وتحققه، وأن نكون الأفاضل والأماثل والمرآة والطليعة.

ومن هنا فإنني أود أن أقف مع القارئ الكريم وقفة قصيرة، حيث قلت قبل قليل أن من معاني الانتظار، أو من اشتقاقاته: المنظار، أي المرآة، والمرآة هي آلة تنعكس من خلالها الأشياء والصور القابلة لها، فإذا كنا منتظرين بالفعل والحقيقة، فنحن إذاً مرائي تنعكس من خلالنا أخلاق الإمام المنتظَر، وهذا يعني أن المنتظِر الحقيقي هو من يعكس إرادة الإمام، وحب الإمام، وعلى العكس من ذلك تماماً يكون العاصي والمكابر وسيّء التصرفات، وهذا ليس له حظٌّ من هذا الشرف العظيم، وكما جاء في الخبر: (كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا).

## مراتب الانتظار ومظاهره

للانتظار مراتب ومظاهر مختلفة، وهذه المراتب والمظاهر المختلفة ناشئة من اختلاف كل من المنتظَر والمنتظِر، فإذا كان المنتظَر إنساناً عادياً،

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٦٧.

**لا يتمتع بالوزن الثقيل اجتماعياً أو علمياً أو مالياً، يختلف انتظاره عمـــن** كان عالِماً أو وجيهاً اجتماعياً أو ثرياً غنياً.

فانتظار العالِم يختلف عن انتظار الجاهل، وانتظار العالِم يختلف عـــن انتظار الحاكم أو الأمير من حيث القوة والمظاهر، انتظار العالِم له مظاهره الدينية، كأن يتمتع المنتظِر بالتدين والوقار، ومن مظاهره أيضـــاً تـــزيين المجالس والمحافل ببعض المظاهر الدينية، من مثل وضع الآيات القرآنية، أو تعليق صورة الكعبة والبيت الحرام، وإزالة كل ما من شأنه أن يســـيء إلى مكانة هذا العالِم المنتظَر.

وهذا النوع من الانتظار، يختلف- في مظاهره- عن انتظار أمير، أو مسؤول حكومي، فإن الانتظار لمثل هؤلاء، يعني تزيين الطرقات، وتعليق اليافطات الترحيبية، وتهيؤ الشعراء لإلقاء قصائد المديح، وتجمهر الوجهاء، وتعدد كلمات الإطراء والمديح والثناء، وتقديم الهدايا والجوائز، وهكـــذا تختلف مظاهر الترقب والانتظار، فكل شخصية يتلوّن انتظارها بما يتناسب مع صبغتها وجوهرها.

ولانتظار الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف مراتب ومظـــاهر، ويمكن أن نوضح كيفية انتظاره بأمثلة حسيّة وأخرى معنوية.

وسوف نقدّم الأمثلة الحسية عن المعنوية، وفقاً للقاعدة الفلسفية التي تقول: " الحسيات معابر للعقليات"، فالانتظار الذي هو من أكبر مظاهر العقلاء، لا يمكن أن يفهم بشكل جيد ومطابق للحقيقة، إلا من خـــلال معابر الأمثلة الحسية، أو الحسيات.

- المثال الحسي الأول: انتظار الفلاح وقت الحصاد وقطف الثمار، فمن المؤكد أن هذا الانتظار سيكون مدعوماً بالعمل الدؤوب، والسقي والزراعة والحراثة، ورعاية الأشجار من الآفات الضارّة.

- المثال الحسي الثاني: انتظار الشاب للزواج، ويكون ذلك بالبحث عن العمل أو الوظيفة، والشعور بضرورة تحمل المسؤولية، لكي يوفر له ولأفراد أسرته العيش الكريم.

- المثال الحسي الثالث: انتظار الوالدين-الأم والأب- إنجاب ولدهما وخروجه إلى الدنيا، الأمر الذي يعني إعداد السرير، وشراء جميع لوازمه من ملابس وحاجيات.

بعد هذه الأمثلة الحسية الثلاثة، نأتي إلى مثال معنوي واحد، يبين لنا حقيقة الانتظار، وهو انتظار المصلّي وقت الصلاة، وعلى الأخص صلاة الجماعة، المنتظر للصلاة يتهيأ لها بالطهارة التامة، ويقصد المسجد قبل وصول الإمام، حتى يتسنى له أن يصلي النوافل، ويكون مشغولاً بالذكر والتسبيح، متوجهاً بكل كيانه وحقيقته الصورية والقلبية نحو الملكوت، أما الذي لا تتوفر فيه هذه الشروط، ولا يتمتع بمثل هذه المظاهر، فهو مشغول عن الطهارة بالحديث عن الدنيا والمال، والبيع والشراء والربح والخسارة، أو بالحديث عن عيوب الآخرين أو التجريح بهم والتدخل في شؤونهم الخاصة بهم، فهل يعتبر هذا منتظراً للصلاة؟.

## مراتب انتظار الإمام المهدي (عج)

نكتشف من كثير من الروايات التي ذكرت الانتظار، أنها تريد تبيان

وإظهار مراتب الانتظار أو مراتب المنتظرين، ونحن نذكر هنا بعضاً منها:

١- ( عن المفضّل بن عمر: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: من مات منتظراً لهذا الأمر، كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف)[١].

٢- (عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر)[٢].

٣- السندي عن جده قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول فيمن مات على هذا الأمر منتظراً له؟ قال: هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه، ثم سكت هنيهة ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

وظاهر الروايات يوحي أن هناك اختلافاً وتبايناً وتضارباً في تحديد ثواب المنتظرين، ولكن بالتمعّن والتحقيق يظهر أن منشأ هذا الاختلاف عائد للمنتظرين أنفسهم، لا إلى التردد في التحديد من قبل الإمام عليه السلام، فالتباين الملاحظ عائد إلى اختلاف مراتب المنتظرين، وبالتالي اختلاف الثواب المترتب على الانتظار من قبل كل فرد منهم، ومن هذه المراتب التي ذكرت في الروايات:

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٨٢.

٢- المصدر السابق ص ٣٧٨.

٣- المصدر السابق ص ٣٦٧.

١- مرتبة العبادة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل العبـــادة انتظـــار الفرج)[١].

٢- مرتبة العمل:

عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ)[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج)[٣].

٣- مرتبة الصحبة (صحبة القائم عجّل الله فرجه):

(من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر).

٤- مرتبة الجهاد (مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم):

(لا بل كان بمنـــزلة الضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم بالسيف).

قد يتصور أن الروايات متضاربة في هذا الشأن، وقد يتوهم أن الإمام متردد في تحديد نوع الثواب (ثواب المنتظر)، ذلك أن ظاهر هذه النصوص يوحي أن هناك تعدداً في نوعية الثواب (ثواب العبادة، ثواب العمل، ثواب الصحبة، ثواب الجهاد)، وحقيقة الأمر ليست كذلك، فلا تردد هناك ولا

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص ٣٦٦.

٢- المصدر السابق ص ٣٦٤.

١- المصدر السابق ص ٣٦٥.

تضارب، وإنما يعود كل ذلك إلى اختلاف مراتب المنتظرين، واختلاف المراتب ناشئ من أمرين:

الأول- اختلاف المرتبة المعرفية: ذلك إن المعرفة بالإمام تختلف من شخص إلى آخر، باعتبار أن المعرفة لها مراتب مشككة ودرجات متفاوتة، فهناك المعرفة الأعلى، وهناك المعرفة العليا، وهناك المعرفة العالية، كما أن هناك المعرفة الأدنى، وبين هذه المراتب المعرفية مراتب لا حصر لها.

ومن هنا فقد جاء في الدعاء: (اللهم عرّفني حجتك، فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني)، وجاء في الخبر: (عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اعرف إمامك، فإنك إذا عرفته لم يضرّك تقدّمَ هذا الأمر أو تأخّرَ)[1].

الأمر الثاني- اختلاف المرتبة العشقية، والعشق ضربان:

١- عشق متعلق بالظواهر من المحسوسات مثل عشق الجسمانيات والماديات والصور والأشكال والألوان.

٢- عشق متعلق بالمعنويات (من الحقائق)، مثل عشق العلم والعبادة والعدل والأمن والحرية، والإمام عجّل الله تعالى فرجه يتصف بجمال الملك والملكوت، فبعده الظاهري والحسي له من الجمال والبهاء ما يعجز البيان عن وصفه، فهو يتمتع بأجمل جسم وأكمل صورة، ويكفي للدلالة على ذلك ما جاء في الخبر: (المهدي طاووس الجنة) أو أهل الجنة، من جماله الباهر الظاهر، وأما بعده الملكوتي فلا وصف له ولا نعت، إذاً هو المعشوق

---

١- بحار الأنوار ج٢١ ص٣٧٩.

ظاهراً وباطناً، ملكاً وملكوتاً.

(وعندما يحين ظهوره الشريف، يتجسّد معنى مواريث جميع الأنبياء وآثار الأصفياء، في خلاصة ما سلف من الوجود، إنه عصارة الخلق والوجود، إنه عصارة الأريج الذي جمعه الله سبحانه وتعالى من جميع أزهار وورود العالَم، وحصّله في زجاجة فكان الحجة ابن الحسن)[1].

والمرتبة الجهادية تعني استعداد المنتظِر- معنوياً وحسياً- للقيام بوظيفته الجهادية في أي وقت وظرف، وهذا معنى (يا ليتنا كنا معكم).

(حكي عن محيي الدين الأربلي أنه حضر عند أبيه ومعه رجل، فنعس فوقعت عمامته عن رأسه، فبدت في رأسه ضربة هائلة، فسأله عنها، فقال له: هي من صِفّين، فقيل له: وكيف ذلك ووقعة صِفّين قديمة؟ قال: كنت مسافراً إلى مصر، فصاحبني إنسان من " غَزّة "، فلما كنا في بعض الطريق تذاكرنا وقعة صِفّين، فقال الرجل: لو كنت في أيام صِفّين لرويت سيفي من علي وأصحابه، فقلت له: لو كنت في أيام صِفّين لرويت سيفي من معاوية وأصحابه، وها أنا وأنت من أصحاب علي عليه السلام ومعاوية لعنه الله، فاعتركنا عركة عظيمة واضطربنا فما أحسست بنفسي إلا مرمياً لما بي، فبينما أنا كذلك، وإذا بإنسان يوقظني بطرف رمحه ففتحت عينيّ، فنزل إليّ ومسح الضربة فتلاءمت، فقال: البث هنا، ثم غاب قليلاً وعاد ومعه رأس مخاصمي مقطوعاً والدوابّ معه، فقال لي: هذا رأس عدوّك، وأنت نصرتنا فنصرناك، ولينصرنّ الله من ينصره، فقلت: من أنت؟ فقال:

---

٢- مقتطفات ولائية ص ٣٠.

فلان بن فلان- يعني صاحب الأمر-، ثم قال لي: وإذا سئلت عن هـذه الضربة فقل: ضُرِبتُها في صِفّين)[1].

فالانتظار- عند مثل هؤلاء القوم- يعني تحمّل المسؤولية كاملة، والدفاع عن أصول المذهب ومظاهره في زمن الغيبة، وبهذه الصورة يكون الانتظار عملية نفسانية، القصد أو الغاية منها الاستمرار في التكامل الذاتي على جميع الأصعدة، العبادية والعملية والولائية- الصحبة- والجهادية.

وهناك من يصبغ انتظاره بالمداهنة تارة، ويلوّنه بالمراوغة تارة أخرى، وذلك بتقديم التنازلات تلو الأخرى، على حساب وهم التقارب بين الطوائف والمذاهب، والثمن المدفوع هو فقط من جانب واحد وجهة واحدة هي الجهة الأضعف، ولم نحصد من صياح التقارب وضجيج الحوار سوى المزيد من تقديم التنازلات، والتخلي من طرف واحد عن قسم كبير من شعائرنا، بما في ذلك شعيرة تعظيم السرداب المقدس، الذي هو موقع اختفاء الإمام عليه السلام، والآخر ثابت على كل ما ورثه، والوقوف أمام السرداب يغيظ قلوب قوم حاقدين، بل ويسخرون من هذا المكان المبارك، والغريب في الأمر أن يتبعهم في السخرية البعض من أهل العلم والفضل، متأثرين بسخرية الحاقدين.

قال تعالى: ﴿ زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا﴾[2]، وقال عزّ وجلّ: ﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما

---

١- بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٧٥.

٢- سورة البقرة الآية ٢١٢.

تسخرون﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿بل عجبتَ ويسخرون﴾[2].

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، في حديث رواه عنه أبو خالد: (تمتدّ الغَيبة بولي الله عزّ وجلّ، الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة بعده، يا أبا خالد، إن أهل زمانه القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمـــان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام، ما صارت الغيبة عنـــدهم بمنـــزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنـــزلة المجاهدين بين يـــدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك هم المخلصون حقاً، وشيعتُنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً)[3].

---

١- سورة هود الآية ٣٨.

٢- سورة الصافّات الآية ١٢.

٣- بحار الأنوار ج٢١ ص٣٦٤، مكيال المكارم ج١ ص٣٠.

## قصص وتعليق

### ١)- القصة الأولى:

( عن القطب الراوندي قال: روي أن أبا محمد الدعلجي كان لـــه ولدان، وكان من أخيار أصحابنا، وكان قد سمع الأحاديث، وكان أحد ولديه على الطريقة المستقيمة وهو أبو الحسن، كان يغسّل الأموات، وولد آخر يسلك مسالك الأحداث في الإجرام، ودُفِع إلى أبي محمد حجة يحجّ بها عن صاحب الزمان عليه السلام، وكان ذلك عادة الشيعة وقتئذ، فدفع شيئاً منها إلى ابنه المذكور بالفساد، وخرج إلى الحج، فلما عاد حكى أنه كان واقفاً بالموقف فرأى إلى جانبه شابّاً حسن الوجه أسمر اللون بذؤابتين مقبلاً على شأنه في الابتهال والدعاء، والتضرع وحسن العمل، فلما قرُبَ نَفْرُ الناس- أي التهيؤ للرحيل- التفتَ إليّ فقال: يا شيخ، أما تســتحيي؟ فقلت: من أي شيء يا سيدي؟ قال: يُدفَع إليك حجة عمن تعلم فتــدفع منها إلى فاسق يشرب الخمر؟ يوشك أن تذهب عينُك هذه، وأومــأ إلى عيني، وأنا من ذلك إلى الآن على وجل ومخافة، وسمع أبو عبد الله محمــد بن محمد بن النعمان- الشيخ المفيد- ذلك، قال: فما مضى عليه أربعــون يوماً بعد مورده، حتى خرج في عينه التي أومأ إليها قرحة فذهبت)[1].

يستفاد من هذه القصة عدة أمور:

الأول: ارتباط أهل البيت عليهم السلام الحقيقي بأتباعهم وشيعتهم،

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٦٤٨، الأنوار البهية في تواريخ الحج الإلهية ص ٢٩٦.

وذلك عن طريق تقديم هدية عبادية لهم والنيابة عنهم في بعض العبـــادات كالحج مثلاً، أو إهداء بعض الركعات المستحبة، وخصوصاً في المشـــاهد الشريفة.

الثاني: تقديم حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل البيت عليهم السلام، على الحق الذاتي بالنسبة للإنسان، باعتبارهم العلة المفيضة لجميع الشؤون الوجودية ومتعلقاته، فقد جاء بأسانيد معتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أنا وأهل بيتي أحب إليه من نفسه وبنيه والناس جميعاً)[1].

ويعلق الشيخ المحقق عباس القمي رضي الله عنه، على هذا الحـــديث بقوله: ( وكيف لا يكون ذلك كذلك، في حين أن وجود وحياة كافـــة الموجودات، وكذلك الدين والعقل والصحة والعافية، وسائر النعم الظاهرة والباطنة، إنما هي من شعاع وجوده المقدس ووجود أوصيائه صلوات الله عليهم)[2].

الثالث: الاختيار المناسب لمن ينوب عن الإمام في العمل العبادي، من حيث الإيمان والصلاح والعلم، وذلك لأن الإمام عليه السلام كله ديـــن، وكله إيمان وكله صلاح وكله علم، ومن ينوب عنه يجب أن يكون قريباً في معانيه وحقائقه من تلك المعاني والحقائق، ولا يجوز أن يكون متسافلاً، كالمتهاون بالواجبات والطاعات، والغارق في المعاصي والموبقات.

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٦٤٧.

٢- المصدر السابق.

الرابع: أن الإمام المهدي عليه السلام يشهد المؤمنين، ويراهم من حيث لا يرونه، وقد جاءت بذلك بعض الروايات المعتبرة.

**٢)- القصة الثانية**

(عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن سورة القمي، عن جماعة من مشايخ أهل قم، أن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، كانت تحته بنت عمّه محمد بن موسى بن بابويه فلم يرزق منها ولداً، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم- حسين بن روح- رضي الله عنه، أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولاداً فقهاء، فجاء الجواب: إنك لا ترزق من هذه، وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين، قال أبو عبد الله بن سورة: ولأبي الحسن بن بابويه رحمه الله ثلاثة أولاد: محمد وهو الشيخ الصدوق، والحسين، وهما فقيهان ماهران في الحفظ، يحفظان ما لا يحفظ غيرهما من أهل قم، ولهما أخ اسمه الحسن، هو الأوسط، مشتغل بالعبادة والزهد، لا يختلط بالناس ولا فقه له، قال ابن سورة: كلما روى أبو جعفر وأبو عبد الله ابنا علي بن الحسين، يتعجب الناس من حفظهما، ويقولون لهما: هذا الشأن خصوصية لكما بدعوة الإمام عليه السلام لكما)[1].

يستفاد من هذه القصة ما يلي:

١- أن يكون طموح الأب بالنسبة للأولاد الوصول لأعلى المراتب الوجودية، كأن يتمنى لهم أن يكونوا علماء فقهاء أعلام دين، وأن يسعى لتحقيق هذا الهدف.

---

١- الأنوار البهية ص ٢٩٢.

٢- التوجه لأهل البيت عليهم السلام- وخصوصاً ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف- وتقديمهم بين يدي الحاجات عند الـــدعاء لله سبحانه وتعالى، فهم الوسائل إليه عزّ وجلّ.

**٣)- القصة الثالثة**

قال المحدث السيد نعمة الله الجزائري في "الأنوار النعمانية": (أخبرني أوثق مشايخي في العلم والعمل، وكان تلميذاً لمولاي الأردبيلي، من أهـــل "تفرش"، واسمه الأمير علاّم، وكان في غاية الفضل والورع، قال: كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبة الشريفة بالغري، واتفق لي ذات ليلة أن خرجت بعد أن فرغت من المطالعة، وكان قد ذهب كثير من الليل، فبينا أنا أجول في الصحن، رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضة المقدّسة، فتساءلت إن كان الرجل من لصوص القناديل، فأقبلت نحوه، فلما قربت منه عرفت أنه أستاذنا الفاضل العالم التقي الزكي، مولانا أحمد الأردبيلي قـــدّس الله روحه، فأخفيت نفسي عنه حتى أتى الباب- وكان مقفلاً- فانفتح له عند وصوله إليه، وجرى له مثل ذلك عند الباب الثاني والثالث، حتى دخـــل الروضة المقدسة فسلّم، ورَدَّ عليه السلام صوتٌ من جهة القبر الشريف، وسمعته يحدّث الإمام عليه السلام في مسألة علمية، ثم خرج فمشيت خلفه حتى خلّف الغري متوجهاً نحو مسجد الكوفة، فكنت خلفه بحيث لا يراني حتى دخل المسجد، وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين صلوات الله عليه عنده، فسمعته يتكلم مع أحدهم في المسألة نفسها، ثم خرج من المسجد ورجع أدراجه، ورجعت خلفه وهو لا يراني، وعندما وصـــل إلى

بوابة البلدة كان الصبح قد أسفر، فأظهرت نفسي له وقلت: يا مولانا لقد كنت معك حيث دخلت الروضة المقدسة إلى الآن، وأقسم عليك إلا أخبرتني بما جرى عليك، ومن هو الشخص الأول الذي كلّمته؟ ومن هو الثاني؟ فقال: أخبرك على أن لا تخبر به أحداً ما دمتُ حياً، فلما توثّق ذلك مني قال: كنت أفكر في بعض المسائل وقد استغلقت علي، فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين عليه السلام وأسأله عن ذلك، ولما فعلت، أحالني عليه السلام إلى صاحب الزمان عليه السلام، وقال: ائتِ مسجد الكوفة فالقائم هناك هذه الليلة، وإنه إمام زمانك فسله مسألتك)[1].

يستفاد من هذه القصة:

١- أن على العلماء التوجه إلى الحضرات المقدسة لأهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً إذا استشكلت عليهم مسألة من مسائل العلم.

٢- أثر العلم واضح على الذوات، حتى وإن كانت ذوات جمادية كالأبواب، فهي تطيع صاحب العلم.

٣- أن يتوجه الإنسان في كل مشاكله إلى إمام زمانه عليه السلام، وأن لا يتعدى إمام زمانه إلى غيره من الأئمة، لأن أهل البيت كلهم نور واحد، فذلك هو المفهوم الواضح من دفع الإمام علي عليه السلام المقدس الأردبيلي، ليتوجه إلى إمام الزمان ويطرح عليه ما استشكل من المسائل.

### ٤)- القصة الرابعة

قال صاحب المناهل السيد محمد بن السيد علي، وهو عالِم كبير:

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٦٢٥.

كان العلاّمة الحِلّي يذهب ليلة الجمعة لزيارة سيد الشهداء، وكان وحيداً يركب دابة وبيده سوط، فالتقى وسط الطريق برجل عربي، فصارا يتحدثان.

ومن سياق الحديث، علم الحِلّي أن رفيق دربه رجل فاضل، فخاض معه في المسائل العلمية، وتيقن أن هذا الشخص متبحّر، وصاحب علم غزير وفضيلة، فأخذ العلاّمة الحِلّي يسأله عن المشكلات التي بقيت له في العلوم سؤالاً بعد سؤال، وذلك الشخص يجيبه ويحل مشاكله العلمية بأوضح صورة.

إلى أن تناول مسألة، فأفتى ذلك الشخص بفتوى أنكرها العلاّمة قائلاً: لا حديث لدينا يدل على هذه الفتوى، فرد عليه ذلك الرجل قائلاً: روى الشيخ الطوسي في هذا الباب حديثا في التهذيب، فراجع الصفحة الفلانية السطر الفلاني تجد الحديث، فتحيّر العلاّمة الحِلّي، من يكون هذا الشخص؟.

ثم سأله: هل من الممكن رؤية صاحب الأمر في الغيبة الكبرى؟ و- صدف أن- سقط سوطه من يده، فانحنى ذلك الشخص وأخذ السوط من الأرض، ووضعه في يد العلاّمة الحِلّي وقال له: كيف لا يمكن رؤية صاحب الزمان ويده في يدك؟ فسقط العلاّمة عن ظهر دابته ليقبّل قدم الإمام عليه السلام وغشي عليه، ولما أفاق لم يجد أحداً، وعاد أدراجه إلى منزله، وراجع التهذيب حيثما دلّه المهدي عليه السلام فرأى طلبته، وكتب العلاّمة الحِلّي بخطه في حاشية كتاب التهذيب: (هذا الحديث أخبر

به صاحب الأمر عليه السلام، ودلّ على الصفحة والسطر)[1].

يستفاد من هذه القصة:

١- الالتزام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٢- عدم تحقير أي شخص لمجرد منظره، فربما كان هذا من أولياء الله الصالحين.

٣- الاستفادة من السفر- ولو في الطريق- في التباحث العلمي المفيد والمثمر.

٤- إمكانية رؤية الإمام المهدي، وأن اللقاء به ليس أمراً مستحيلاً في ذاته، وإنما يحتاج إلى شروط مخصوصة وصفات معينة.

٥- أن للإمام هيبة ووقاراً يدهش العقول وتحار فيه الأفهام، وليس باستطاعة البعض من الخواص الصمود أمام نورانيته، فما بالكم بغيرهم من العوام!.

### ٥)- القصة الخامسة

(ذكر السيد محمد الفشاركي يقول: رأيت في بعض الأيام في شيراز مجنوناً يطارده الصبيان ويضحكون عليه، وبعد أيام دخلت مسجداً للعبادة في غير وقت الفريضة فلم يكن فيه أحد سواي، وبينما أخذت أهيأ للعبادة شعرت بدخول شخص إلى المسجد، فالتفتُّ وإذا به ذلك المجنون، فاستترت خلف عمود عريض هناك كي أراقبه، ماذا يريد أن يفعل، فرأيته أخذ ينظر إلى جوانب المسجد، وبعد أن اطمأن لعدم وجود أحد، شرع

---

١- المهدي المنتظر ص ٣٦٨.

في صلاة بخشوع، وقراءة متأنية في أجزائها وأذكارها وأدعيتها، كواحد من أفضل العقلاء، فكنت متحيراً مما رأيته منه، كلما أمعنت النظر إليه لم أجد عليه أقل علامة من علامات الجنون، وراقبته بمزيد من الدقة حتى ملكتني الدهشة، ولما انتهى وأراد أن يمشي أسرعت إليه، فأخذ يموّه على شخصيته الحقيقية بتصرفات جنونية، قلت له: يا هذا إني رأيتك منذ دخلتَ المسجد، فقد دلّتني صلاتك الخاشعة على أنك إنسان عاقل ولست كما تُظهِر به نفسك في الطريق، قل لي: لم تتصرف كالمجانين؟ فلم يجبني إلا بحركات جنونية أصر بها أن يغطّي على شخصيته، فكلما رجوته أبى إلا إصراراً على التمويه وهو يسعى إلى التهرب مني، وهناك قلت له: أقسم عليك بحق الذي جننت من أجله قل لي الحقيقة.

بهذا القسَم انهمرت دموعه وبكى، فعلمت أني وضعت إصبعي على جرحه، نظر إليّ هنيهة ثم قال: ما دمتَ قد أقسمتَ عليّ بمن جننتُ من أجله، فإني أخبرك بحقيقة أمري، فلقد كنت كثير اللقاء والنظر إلى الإمام الحجة صاحب العصر والزمان روحي فداه، ولكن بسبب معصية صدرت مني قد ولّت عني هذه السعادة، ومثلي ليس له إلا الجنون تعبيراً عن شقائه وخسارته، فلقد أصبحت الدنيا عندي بلا أهمية، قلت له: هل يمكنك الإفصاح لي عن تلك المعصية ليعتبر الآخرون ويرتدعوا؟ قال: إني نظرت إلى امرأة أجنبية نظرة ريبة وشهوة، أفهل تستحق هذه العين الخائنة أن تنظر إلى جمال ولي الله الأعظم الحجة بن الحسن عليه السلام مرة أخرى،

والآن فهل تعلم خاسراً أشقى مني؟!)[1].

ويستفاد من هذه القصة مايلي:

١- إن الموالي المؤمن فقد مظاهر الانتظار ومعانيه بنظرة ريبة وشهوة واحدة، وحرم بذلك نفسه من رؤية الإمام عليه السلام.

٢- إن الذنوب والمعاصي هي سبب هذا الاحتجاب، كما جاء في بعض الأخبار، وإن المؤمن الطاهر القدسي يمكنه أن يتشرف برؤية الإمام عجّل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه.

٣- إن الخسارة الكبرى هي في فقدان إمام الزمان، وعدم التمكن من الاتصال به والالتقاء معه.

**٦)- القصة السادسة**

(روى الشيخ الطوسي عن رشيق أنه قال:

بعث إلينا المعتضد- ونحن ثلاثة نفر- فأمرنا أن يركب كل واحد منا فرساً وأن نخرج مخففين لا يكون معنا قليل ولا كثير، وقال لنا: الحقوا بسامرة، ووصف لنا محلة وداراً وقال: إذا أتيتموها برأسه[2].

فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم وفي يده خملة ينسجها، فسألناه عن الدار، ومن فيها، فقال: صاحبها، فو الله ما التفت إلينا، وقل اكتراثه بنا، فكبسنا الدار كما أُمرنا، فوجدنا داراً سرّية،

---

١- قصص وخواطر ص ٥٦٨.

٢- هكذا وردت في الأصل: إذا أتيتموها برأسه، وأرى أن في العبارة نقصاً، ولعل الصحيح: إذا أتيتموها فاقتلوا صاحبها وأتوني برأسه، والله أعلم.

ومقابل الدار ستر ما نظرت قط إلى أنبل منه، كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت، ولم يكن في الدار أحد، فرفعنا الستر، فإذا بيت كبير كـــأن بحراً فيه، وفي أقصاه حصير قد علمنا أنه على الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيأة قائم يصلي، فلم يتلفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا، فســبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت، فغرق في الماء، وما زال يضطرب، حتى مددت يدي إليه فخلّصته وأخرجته، فغشي عليه ساعة، وعــاد صــاحبي الثاني إلى فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، وبقيت مبهوتاً، فقلت لصاحب البيت: المعذرة إلى الله وإليك، فوالله ما علمت كيف الخبر، ولا إلى مــن أجيء، وأنا تائب إلى الله، فما التفت إلى شيء مما قلنا، وما انفتل عمــا كان فيه، فهالنا ذلك وانصرفنا عنه، وقد كان المعتضد ينتظرنا، وقد تقدم إلى الحجّاب أن إذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان، فوافيناه في بعض الليل فأُدخِلنا عليه، فسألَنا عن الخبر، فحكينا له ما رأينــا، فقــال: ويحكم، لقيتم أحدا قبلي؟ وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول؟ قلنا: لا، فحلف بأشد الأيمان أنه إن بلغه هذا الخبر ليضربَنّ أعناقنا، فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موته)[1].

يستفاد من هذه القصة ما يلي:

١- حرص أعداء أهل البيت عليهم السلام، على إبادتهم والقضــاء عليهم ومحق آثارهم وأثرهم، ويأبى الله إلا أن يــتم نــوره ولــو كــره الكافرون، وكما قالت الحوراء زينب عليها السلام مخاطبة يزيد لعنه الله:

---

١- منتهى الآمال ج٢ ص ٥٨٩.

(فوالله لا تمحو ذكرنا).

٢- العناية الإلهية وإحاطتها بالإمام الحجة عجّل الله فرجه، وأن الله إذا أراد أمراً لا رادّ لإرادته ومشيئته.

٣- تكتم الأعداء على الحقائق المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، وإخفاء أي فضيلة من فضائلهم و كل كرامة تظهر من كراماتهم، كما هو واضح في القصة من تهديد المعتضد لرشيق وأصحابه بالقتل، فيما لو أنهم حاولوا نشر الكرامات التي ظهرت لهم في بيت الإمام عليه السلام.

**الخاتمة:**

للكتابة عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، لذّة روحية وعقلية ونفسية وجسمية أيضاً، بكل ما لهذه الكلمات من المعاني، وذلك تبعاً لتأثير هذه الجوانب على بعضها البعض، كما أن القراءة حول ذات الموضوع لها نفس الخصوصيات والنتائج، وهذا باعتبار أن الإمام المهدي عليه السلام، حلم عالمي يراود كل الموجودات، وشعور فطري مغروز في كيان كل المخلوقات.

ولكن، ومن خلال تتبع النصوص الحديثية في هذا الجانب، اتضحت لي مسألة مهمة، وهي: أن الطور المهدوي بكل عظمته ورقيه وتغيراته وأحداثه، إن هو إلا توطئة لفتح الوجود الإمكاني على طور وعهد جديد، صَعُبَ على الكثير فهمه وهضمه، ألا وهو طور رجعة أهل البيت عليهم السلام، وقيام الدولة المحمدية والحكومة الإلهية، وبسط سلطة أهل البيت عليهم السلام على كل المحاور الوجودية.

وهذا ما سوف نعالجه في بحثنا القادم إن شاء الله تعالى، مع إتمام بعض العناوين ذات الصلة بالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه.

أسأل الله تعالى أن يجمعني وإياكم في خلافتهم ودولتهم ورجعتهم، إنه على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

علي آل محمد

# المصادر والمراجع


لسان العرب

الإمامة- مطهري

بحار الأنوار

الحكومة الإسلامية

الإمامة الكبرى والخلافة العظمى

بحث حول الإمامة

هدي العقول

المهدي المنتظر

حقيقة الإمامة

الكبريت الأحمر

رسائل آل طوق القطيفي

لطائف الأعلام

مكيال المكارم

المظاهر الإلهية

علل الشرائع

العارف الكامل

الطور المهدوي

المهدي المنتظر، حقيقة أم خرافة؟

المهدي وفقه أشراط الساعة

سيكولوجية الانتظار

ينابيع المودّة

حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية

القلب السليم

كشكول البهائي

الإسلام والعقل للشيخ مغنية

المعجم المعين

الإمامة ذلك الثابت المقدّس

حقيقة الإمامة

كشف الحق

الخصائص الكبرى

ثورة العشق الإلهي- الإمام الخميني قدس سره

الذريعة إلى مكارم الشريعة

ما قبل نهاية التاريخ

شرح الأسماء الحسنى

التكوين والتجلّي

المطالب العالية من العلم الإلهي

إينشتاين والنسبية

شرح توحيد الصدوق

كشاف اصطلاحات الفنون

الميزان في تفسير القرآن

الإسراء والمعراج- رموز ودراسة تحليلية

العلم يدعو للإيمان

الصحيفة العلوية

شرح أصول الكافي

ثلاث رسائل- غاية المراد في تحقيق المعاد

القصص العرفانية

سرح العيون

رشحات ملكوتية

لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام

البرهان في تفسير القرآن

الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة

منهجية الثورة الإسلامية

التحقق الوجودي

تاريخ الكوفة

مقدمة ابن خلدون

مفاتيح الجنان

سجع الحمام

روضة الورد- كلستان سعدي الشيرازي

مقتطفات ولائية

الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية

# الفهرس


| | |
|---|---|
| **الإهـــداء** | **٧** |
| **المقدمـــة** | **٩** |
| **المدخـــل** | **١٣** |
| *** الفصل الأول: الإمامـــة** | **١٧** |
| أسئلة مهمة | ١٩ |
| الإمامة السياسية | ٢٢ |
| الإمامة الدينية | ٢٣ |
| الإمامة التكوينية | ٢٤ |
| الفوارق بين الإمامة الحسية والإمامة المعنوية | ٢٥ |
| الإمام المبين | ٣٠ |
| ما هي العصمة؟ | ٣٣ |
| مظاهر الإمامة الملكوتية المعنوية | ٣٤ |
| أولاً- العلة الغائية | ٣٤ |
| ثانياً- العلة الفاعلية | ٣٧ |
| ثالثاً- العلة المبقية | ٤٠ |
| *** الفصل الثاني: أصالة حقيقة المهدي (عج)** | **٤٣** |

| | |
|---|---|
| هل المهدي حقيقة ثابتة؟ | ٤٥ |
| الأدلة على إثبات أصالة حقيقة المهدي | ٤٧ |
| أولاً- الإلهام الفطري | ٤٧ |
| ثانياً- برهان العشق | ٤٩ |
| ثالثاً- المهدي حقيقة جامعة | ٥٠ |
| *** الفصل الثالث: المهدي والكمال الوجودي** | **٥٥** |
| الإيمان بالغيب | ٥٧ |
| ما الذي سيأتي به الإمام المهدي (عج)؟ | ٥٩ |
| كيف سيحقق الإمام المهدي هذا الهدف الصعب؟ | ٦٠ |
| أولاً- تجلّي العلم والمعرفة | ٦٠ |
| المعيار الحقيقي والواقعي للتقدم والحضارة | ٦٣ |
| عهد الرسول (ص) وعهد المهدي (عج) | ٦٩ |
| ثانياً- التسخير الكوني | ٦٩ |
| فتح الفضاء وتأهيل السماء | ٧٢ |
| لماذا المهدي دون سواه؟ | ٧٦ |
| *** الفصل الرابع: المهدي والخلافة الإلهية** | **٨٧** |
| ما معنى الخلافة؟ | ٨٩ |
| تصوران أساسيان لمقام الخلافة | ٩٠ |
| ما ذا تعني الخلافة الإلهية؟ | ٩١ |
| الإمام المهدي والخلافة الإلهية | ٩٤ |

| | |
|---|---|
| أولاً- التغير الآفاقي | ٩٤ |
| الشتاء الفضائي والشتاء النووي | ٩٧ |
| ثانياً- التغير الأنفسي | ٩٩ |
| ما هي آليات التغير الأنفسي؟ | ١٠٣ |
| *** الفصل الخامس: الإمام المهدي والمقامات الثلاثة** | **١٠٥** |
| مقامات أهل البيت (ع) | ١٠٧ |
| المقامات المهدوية | ١١٠ |
| أولاً- مقام صاحب الزمان | ١١٢ |
| مظاهر قدرة المهدي على الزمان | ١١٧ |
| الأولى: التصرف بالزمان طياً ونشراً | ١١٧ |
| الثانية: السفر عبر الزمان | ١٢٤ |
| وسائل السفر عبر الزمان | ١٢٧ |
| الأول- طريق التجرد | ١٢٧ |
| الثاني- طريق الصعود إلى مرتبة اللطافة | ١٣٥ |
| ثانياً- مقام صاحب العصر | ١٤٢ |
| حقائق العصر المهدوي | ١٤٦ |
| ملامح العصر المهدوي | ١٥٥ |
| ثالثاً- مقام صاحب الأمر | ١٥٩ |
| ما هو عالَم الأمر؟ | ١٦٢ |
| *** الفصل السادس _ فلسفة الغيبة ومراتب الانتظار** | **١٦٩** |

| | |
|---|---|
| الأمر الأول- الغيبة | ١٧٥ |
| الغيبة ليست حاجة مهدوية | ١٧٨ |
| فلسفة الغيبة | ١٨٦ |
| أولاً- الغيبة بلاء وامتحان | ١٨٦ |
| ثانياً- الإعداد الوجودي لاستقبال المهدي | ١٨٩ |
| ثالثاً- عشق الحقيقة المهدوية | ١٩٧ |
| الأمر الثاني- مراتب الانتظار | ٢٠٣ |
| ماذا يعني الانتظار؟ | ٢٠٣ |
| مراتب الانتظار ومظاهره | ٢٠٦ |
| مراتب انتظار الإمام المهدي (عج) | ٢٠٨ |
| قصص وتعليق | ٢١٥ |
| المصادر والمراجع | ٢٢٧ |
| الفهرس | ٢٣١ |